دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 4!

(إن بكاء الشاعر ينبغي أن يُصاغ شِعراً!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

إبراهيم مصطفى في ذمة الله!

(في تمام الساعة الرابعة من صباح يوم الثلاثاء الموافق 17 – 7 – 2018م ، وبينما كنت أستعد لصلاة الفجر جاءني ابني يوسف وقال: احتسب خالي إبراهيم مصطفى رزق عند الله ، وسامحْه وادعُ له بالرحمة! فظننته يمزحُ أو يُلقي بالكلام على عواهنه! وناشدته الله هل ما تقول صحيح يا بُني؟ فأقسم أنْ نعم! فأخذتني سَورة الحُزن ودخلتُ في قشعريرة الذهول للخبر المباغت في هذا الوقت. وقلتُ في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله الأخ والصديق والصهر إبراهيم مصطفى رحمة واسعة ، وتجاوز عن سيئاته ، وأشهد الله وملائكته ومن قرأ القصيدة بعدي أني سامحته في كل ما بدر منه تجاهي! والحقيقة أنني ما اعتبرتُه يوما صهراً فحسب ، بل كان نعم الأخ والصديق! ومناقبه لا تعد ولا تحصى كثرة ، ولا أزكّي على الله أحدا! وإذ مات فندعو له بالرحمة والمغفرة ولأهله ولأبنائه بالخير وأن يخلفه الله فيهم! ولقد عاش معي في غربتي قرابة الربع قرن هنا بالإمارات! ألفيته أخاً عزيزاً فاضلاً ، وكان من الراسخين في معرفتي بصدق! ولمّا كان حزني عليه أكبر من الشعر وأوزانه وبحوره وقوافيه ، حاولتُ بعد جهدٍ جهيد أن أكتب في رحيله شيئاً فما استطعت أن أتماسك وأكتب في أول الأمر! حيث كان لزاماً عليّ أن أتصبر وأخبر أخته أم عبد الله بذلك الخبر الأليم! واستطعتُ أن أحقق شيئاً من ذلك بفضل الله ورحمته ومعونته! وصليتُ فجري ورحتُ أتعجب من الدنيا التي يُصبح الإنسان فيها خبراً في أقلّ من لمح البصر! وعجبتُ أكثر من عُباد الدنيا الذين يغرّهم طولُ الأمل فيسفِكون الدماء ويظلمون الناس ويأكلون حقوق الآخرين ، وينهبون أقوات وأرزاق الناس بغير حق ، ويسعَوْن في الأرض الفساد ، ويهتكون الأعراض ، ويحاربون أولياء الله في الأرض لقولهم ربنا الله! ويوالون أعداء الله علانية! إنها لقصيرة تلك الحياة! وإنا جميعاً راحلون ولو بعد حين! فليعدّ كل إنسان نفسه للموت والقيامة!! فرحم الله الصاحب الجليل إبراهيم مصطفى ، ولا حرَمنا أجره ولا فتننا بعده! واليوم يموت إبراهيم أيضاً في حادث سيارةٍ فظيع بشع ، وكأن الأقدار الربانية تريد أن تقول له: إن حادث 25-11-1994م مع أخيك شوقي عبد الحميد وأحمد سليمان لم يكن مستهدفاً منه إلا الأخير بذهاب إحدى حبيبتيه عينه! وأن آجال الجميع (شوقي وإبراهيم وأحمد سليمان) لا تزال فيها بقية! أما حادث اليوم فالمستهدفُ فيه إبراهيم فقط ، وأسأل الله أن يُعجّل بشفاء ابنه وابني مصطفى إبراهيم مصطفى رزق! اللهم اشفه شفاءً لا يُغادر سقماً ، واجعل ما حدث له ولأبيه كفارة من الذنوب والخطايا! وأذكر أنني اختلفت مع إبراهيم حتى ليمكنني القول بأنني وإياه لم نتفق على شيء! وكم تجاذبنا أطراف الحديث حول عدة قضايا منها ما يتصل بالدين ومنها ما يتصل بالدنيا ، ولم يعمد يوماً للنيل مني بغير حق! ولم يذكر كلمة نابية ولا جافية قط! وكم كان حريصاً على مصلحتي ومصلحة أخته ، فيتدخل للإصلاح فارضاً شخصيته بالمناسبة وبغير المناسبة ، وكان يشفع له في كل مرة سمو الغاية ونبل القصد وصفاء النية! ولم يكن معنا فقط يفعل ذلك ، بل امتد إلى الآخرين من حولنا ، فما إن يسمع بخلافٍ أو خصام بين زوج وزوجه تربطه بهما علاقة إلا ويبادر للإصلاح! وأذكر له حرصه على الصلاة في مواعيدها وصيامه للنافلة عند القدرة عليها. وأذكر له دفاعه عني عندما استطال عليّ من هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، وأذكر له زيارته المشفوعة بقول الله تعالى عند الدخول: (وإن قيل لكمُ ارجعوا) فأقول له: ارجعوا! فيعقب: وهل جئتُ لأرجع ويقسم أن لا رجوع! يا الله ما كان ألطفه وأخفه! فكان بذلك أخاً عزيزاً وصديقاً طيباً. وأذكر يوم الحادث الذي أودى بعيني وكان معي في ذات السيارة ، والدم ينهمر

من شريان المخ على ثيابه وأنا أحولق وأحوقل وهو يقول: لا بأس عليك ، سيشفيك الله ولن تضار فاصبر واحتسب! وأذكر له صموده معي في المواقف الصعبة عندما تنكرت لي الدنيا فما هي بالتي أعرف وتنكر لي الكل فما هم بالذين أعرف ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت وضاقت عليّ نفسي! ومن هنا يُعرف الرجال الحقيقيون لا بالمال ولا بالشهادات والدرجات العلمية ، بل بالمواقف الصعبة! وكم كنت أتمنى أن لا أعيش هذا الموقف ولا أن أستمع لمثل هذا الخبر ولا أن أفجع في أخ غال وصديق عزيز كإبراهيم هكذا! وعزائي أن تكون لقيانا هناك في الجنة عند الله في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر ، أسأل الله من فضله العظيم! والحمد لله أن وجد إبراهيم صديقاً له يرثيه ويبكيه وينعيه في قصيدةٍ معلقةٍ كهذي فقد تجاوزت السبعين بيتاً من البحر البسيط وعلى القافية الميمية! وهذا واجبي حِياله لا مِنة مني ولا تكرماً عليه! إنّ حزن وبكاء الشعراء يجب أن يكون شعراً! ومن هنا يأخذ حزنهم وبكاؤهم صفة الخلود! وأما بكاء غيرهم فسويعات وأيام وليال ويجف كأن شيئا لم يكن! وها أنذا قد وفيت! وأسأل الله أن تكون هذه القصيدة على طولها شافعاً لي تقصيري في حق إبراهيم ، وكفارة لما وقعتُ في عِرضه واغتبته عاماً أو غيرَ عامد! وإنني لأبتهل بإخلاص إلى الله تعالى لنفسي وللمسلمين ولهذا الصاحب فأقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ ، وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وباعد بينه وبين خطاياه كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، ودماً خيراً من دمه ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ). (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلاَمِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ). (اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ إبراهيم مصطفى احْتَاجَ إِلَى رَحْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ ، إِنْ كَانَ مُحْسِناً – وظني به كذلك - فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً - وظني به غير ذلك - فَتَجَاوَزْ عَنْهُ). اللهمّ عامله بما أنت أهله ، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة ، ولا تعامله بما هو أهله ، هو أهل الخطايا والذنوب! اللهمّ اجزه عن الإحسان قبولاً وإحساناً ، وعن الإساءة عفواً وصفحاً وغفراناً. اللهمّ إن كان عندك محسناً فزد من حسناته ، وإن كان عندك مسيئاً فتجاوز عن تقصيره وسيّئاته. اللهمّ آنسه في قبره ، وفي وحدته ، وفي وحشته ، وفي غربته. اللهمّ إنّه في ذمّتك وحبل جوارك ، فقِهِ فتنة القبر ، وعذاب النّار ، وأنت أهل الوفاء والحقّ ، فاغفر له وارحمه ، إنّك أنت الغفور الرّحيم. اللهمّ إنّه عبدك وابن عبدك ، خرج من الدّنيا ، وسعتها ، ومحبوبها ، وأحبّائه فيها ، إلى ظلمة القبر ، وما هو لاقيه. اللهمّ إنّه كان يشهد أنّك لا إله إلّا أنت ، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به. اللهم إن وقته كان قد اتسع لقراءة القرآن ومُدارسة سُنة الحبيب العدنان فشفع فيه القرآن يا رب العالمين! اللهم واجعل من أبنائي وأبنائه من يدعو لي عند موتي بهذا الدعاء! اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم إلى يوم الدّين. وأجعل قصيدتي مرثية عزاء للكِرام المؤمنين من أهل تفتيش كفر سعد في رحيل ابن بار من أبنائهم هو إبراهيم مصطفى رزق. كما وأعزي آل رزق في فقيدهم وأقول للجميع: (إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيئ عنده بمقدار ولأجل مسمى ، فلتصبروا ولتحتسبوا). وليكن موت النبي – صلى الله عليه وسلم – مُهوّناً علينا جميعا هذا المصاب الجَلل! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب). وهذا مما يهوّن علينا مصيبتنا في إبراهيم! يقول الله تعالى:

{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}. ذكر الثعلبي رضي الله عنه في هذه الآية قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنيْن فقال: يا رب ، إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك ، وطاعة رسولك ، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر. ويخبرني أني ملاقيك ، يا رب فلا تضله بعدي ، واهده كما هديتني ، وأكرمه كما أكرمتني. فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما ، فيقول الله تعالى: (لِيُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه) ، فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ، ويخبرني أني ملاقيك ، فيقول الله تعالى: (نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب كان)! قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب ، إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك ، فأسألك يا رب ألا تهده بعدي ، وأن تضله كما أضللتني ، وأن تهينه كما أهنتني ؛ فإذا مات خليله الكافر قال الله تعالى لهما: (لِيُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه) ، فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك ، فأسألك أن تضاعف عليه العذاب ؛ فيقول الله تعالى: (بئس الصاحب والأخ والخليل كنت). فيلعن كل واحد منهما صاحبه. والآية عامة في كل مؤمن وكافر ومضل. وجاء عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أحاديث عديدة تحثُ المسلمين لاختيار الصحبة الصالحة ومنها: أن اَبَا بُرْدَةَ بْنَ اَبِي مُوسَى روى عَنْ اَبِيهِ ـ رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ الجليس الصَّالِح والجَليس السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً». (متفق عليه) ، واللفظ للبخاري. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ عَلَى دين خَلِيله فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». (قَالَ الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وأبو داوود). وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله ، أي جُلسائنا خير؟ قال: «مَن ذكَّرتكم بالله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكَركم بالآخرة عمله». (رواه أبو يعلى). وتحت عنوان: (العاقبة في ذكر الموت) يقول الأستاذ الفاضل عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ما نصه: (والحقيقة أن الموت أمرٌ كُبار لمن أنجد وأغار وكأس تدار فيمن أقام أو سار وباب تسوقك إليه يد الأقدار ويزعجك فيه حكم الاضطرار ويخرج بك إما إلى الجنة وإما إلى النار. خبر ـ علم الله ـ يصم الأسماع ويغير الطباع ويكثر من الآلام والأوجاع. واعلموا أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ونسيانك أحلى الليالي والأيام لكان والله لأهل اللذات مكدراً ، ولأصحاب النعيم مغيراً ، ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجراً ومنفراً! كما قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه! فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب ، وتدهش فيه الألباب ، وتفنى في شرحه الأقلام والكتاب ، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب. واعلموا أن الناس في ذكر الموت على ضروب: فمنهم المنهمك في لذاته ، المثابر على شهواته ، المضيع فيها ما لا يرجع من أوقاته ، لا يخطر الموت له على بال ، ولا يحدث نفسه أبداً بزوال ، قد أطرح أخراه ، واكب على دنياه ، واتخذ إلهه هواه ، فأصمه ذلك وأعماه ، وأهلكه وأرداه. فإن ذكر له الموت نفر وشرد ، وإن وعظ أنف وبعد ، وقام في أمره الأول وقعد ، قد حاد عن سواء نهجه ، ونكب عن طريق فلجه ، وأقبل على بطنه وفرجه ، تبت يداه ، وخاب مسعاه ، وكأنه لم يسمع قول الله: (كل نفس ذائقة الموت). ثم ربما أخطر الموت بخاطره ، وجعله من بعض خواطره ، فلا يهيج منه إلا غماً ، ولا يثير من قلبه إلا حزناً ، مخافة أن

يقطعه عما يؤمل ، أو يفطمه عن لذة في المستقبل ، وربما فر بفكره منه ، ودفع ذلك الخاطر عنه ، ويا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز و جل: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم).هـ. والحقيقة أن العين لتدمع ، والقلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا سبحانه وتعالى: (إنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون! وإن مواقف إبراهيم مصطفى معي في دار غربتي مواقف خالدة لأنها مشرفة! لقد عاش معي على الحلوة والمرة! وكان يجتهد كل الاجتهاد في المحافظة على العشرة والصحبة! ومن هنا كانت هذه القصيدة ترجمة لهذه الصداقة وتلك الصحبة وهاتيك العشرة! وكنتُ أتمنى أن لا أعيش إلى اليوم الذي ينعى إلي إبراهيم! لقد كنت أرجو أن نعود معاً من دار غربتنا لنعيش معاً! ولكنها إرادة الله تعالى!)

بَـــدّلْ حـــديثَكَ ، واختـــرْ أصـــدق الكلـــمِ ... أو مُـــرْ سِـــواك يَقـــصُّ الأمـــرَ ، ثـــم قـــمِ

واغضُـــضْ مـــن الصـــوت مـــا يُجْلِـــي دِلالتـــه ... فلـــيس بالســـمع مِـــن ضَـــعفٍ ولا صَـــمَم

وجـــدَّ فـــي الأمـــر ، لا تهـــزلْ فتصـــدمَني ... بزائـــف القـــول يكـــوي القلـــب بـــالألم

كَنيـــتُ (يوســـف) بالصـــديق أقصـــدُها! ... فمـــن يعـــشْ صـــادقاً بـــالخير يَعتصـــم

فـــإن كـــذبت فليـــت الأذن مـــا ســـمعتْ! ... وليـــت مَـــن يَفتـــري يُصـــاب بـــالبكم!

مـــاذا وراءكَ؟ أخبرنـــي علـــى عجَـــلٍ ... بلفظـــةٍ لا تُصـــيبُ الـــنفسَ بـــالغمم!

فقـــال: خـــالي قضـــى فـــي حـــادثٍ بشـــع ... فجُـــدْ عليـــه بباقـــاتٍ مِـــن الـــرُحُم

واصـــفحْ ، وســـامحْ ، فمـــا جـــدوى مؤاخـــذةٍ ... إن كـــان أمـــرُ المنايـــا بـــالغ العِظـــم؟!

فقلـــتُ: خالـــك فـــي هـــذي الحيـــاة أخ ... أعطـــى الخؤولـــة أبعـــاداً مـــن القِـــيم

وعـــاش بـــالخلق الرفيـــع مَدرســـة ... رعـــى الإخـــاءَ بهـــا فـــي كـــل مصـــطدم

لـــم تنسِـــهِ فـــتنُ الـــدنيا علاقتنـــا ... فكـــان فـــوق حظـــوظ الـــنفس والـــتهم

وعبْـــرَ عقـــدين ألفيـــتُ النســـيبَ أخـــاً ... ذا وازع فـــي التســـامي غيـــرِ منـــبهم

كـــم اختلفنـــا ، وكـــان الخلـــفُ موعـــدَنا ... فمـــا هجـــاني بلفـــظٍ غيـــر محتـــرم!

ولا رمـــــاني بســـــب أو مخاصـــــمةٍ! ... ولا تطـــــاولَ بـــــالتعيير كـــــالأكم

كـــم اشـــتكينا جفـــاءً فـــي معاملـــةٍ ... توشـــحتْ بـــإزار البـــؤس والوَصَـــم

فمـــا جفـــاني ، وإن فارقتـــه زمنـــاً ... حتـــى يبيـــت الجفـــا نـــاراً علـــى علـــم!

كـــم اشـــترينا معـــاً ، والســـوقُ شـــاهدة ... وقـــدّم الشـــهمُ آيـــاتٍ مـــن الخِـــدَم!

كـــم اغتربنـــا ، فـــأرضُ الله واســـعة ... فكـــان فـــي غربتـــي الشـــجوى أخـــا سَـــلَم!

وكـــم أقمنـــا الليـــاليْ فـــي تنسّـــكِنا ... مِـــن أول الـــذكر فـــي بـــدءٍ ومُختـــتم!

وكـــم قرأنـــا تفاســـيراً وأدعيـــة ... بكـــل جـــدٍ ، بـــلا كـــلٍّ ولا ســـأم!

كـــم اختلفنـــا وزوجـــي فـــي معيشـــتنا ... حتـــى طغـــى الخلـــفُ فـــي مُحْلولـــكِ الظلـــم!

فجـــاء يمســـحُ – بـــالتقوى - مـــدامعنا ... وإن تكـــن بلغـــتْ ســـيلاً مـــن العَـــرِم

كـــم اســـتطال علـــيّ العيـــر أغلـــبُهم ... رهـــط مـــن الطفـــل ، أو جمْـــعٌ مـــن الغـــنم!

فصـــدّهم - بالتحـــدي - دونمـــا وجـــل ... أبـــئسْ بخصـــم بئـــيس الحـــظ مـــنفحم!

كـــم اســـتدنتُ فأعطـــاني ، وأمهلنـــي! ... مـــا أعظـــم الـــدائن المخصـــوص بـــالكرم!

كـــان المِثـــال بحاليْنـــا وغربتنـــا ... ولا يُصَـــوَّر وصـــفُ الفـــذ بـــالقلم

ولـــم يخـــنْ عهـــدنا ، ولا أخـــلّ بـــه ... كـــلا ، فلمَّـــا يكـــن خِلـــي بمُجتـــرم!

وإن أنـــلْ منـــه لـــم يعمـــد لمنقصـــةٍ ... ولا لمقتلـــــــةٍ ، ولا لســـــــفك دم

وكـــان واصـــلاً الأرحـــامَ محتســـباً ... والأجـــرُ مُـــدّخرٌ لواصـــل الـــرحم!

وكـــان مقتصـــداً فـــي العـــيش ينشـــدُه ... بعـــزةٍ مـــا بهـــا شـــيئٌ مـــن الـــنهم

إنـــي التمســـتُ بـــإبراهيم غـــائبتي ... فـــي غربـــةٍ حَفلـــتْ بخـــائني الـــذمم

فكـــان – فـــي غربتـــي – الأصـــحابَ أجمعَهـــم ... وكـــان خيـــر أخ مستبصـــر فهـــم

أبْنتـــه اليـــومَ بالأشـــعار أنظمهـــا ... مَوْشـــية بالســـنا فـــي نورهـــا الـــتمم

لـــو خيّـــرتْ هـــذه الســـيارة اعتـــدلتْ ... ومـــا تـــردّتْ لتزجـــيْ ســـيئ الـــنقم

لكنـــه قـــدرُ الـــرحمن لـــيس ســـوى ... وفـــي ثنايـــاه آلافٌ مـــن الحِكَـــم

والعـــينُ - مـــن ألـــم المأســـاة - باكيـــة ... دمعـــاً يُصـــيبُ جفـــون العـــين بالســـقم

والقلـــبُ مـــن شـــجن فـــاضَ الخشـــوعُ بـــه ... وهـــدّه الوجـــدُ فـــي الإصـــباح والغســـم

ولا نقـــولُ ســـوى مـــا الله يقبلـــه ... مِـــن طيّـــب القـــول والأذكـــار والكلِـــم

إنـــا رجـــوعٌ إلـــى الـــديّان خالقنـــا ... وكـــل عبـــدٍ ســـيقلو ضـــجعة الـــرَجَم!

والله يشـــــهدُ أن الحـــــزن جنـــــدلنا ... ومَـــن يَـــدُمْ حزنـــه يُكسَـــرْ ويَنهـــزم

إنـــا لمـــا نـــال (إبـــراهيمَ) فـــي شـــجن ... وللفـــراق وُجـــومٌ غيـــرُ منكـــتم

ســـامحتك اليـــومَ فـــي حقـــي ورفقتنـــا ... مُغلبـــاً جانـــب الـــوداد والعشـــم

دمـــوعُ قومـــك يُبليهـــا الزمـــانُ غـــداً ... تجـــف يومـــاً ، وإنْ فـــرّتْ مـــن الحُمـــم

ودمـــعُ شِـــعريَ - فـــي القِرطـــاس - مُنهمـــرٌ ... واهـــاً لـــدمع مـــدى الأيـــام منســـجم!

والكـــل يقـــرأ مـــا فـــي الشـــعر مـــن دُررٍ ... فـــي كـــل بيـــتٍ تعـــابيرٌ مـــن اليُـــتُم

يـــا آل (رزق) عزائـــي - فـــي الفقيـــد - جـــوىً ... يكـــوي الفـــؤاد بمـــا يحـــوي مـــن الســـدم

يـــا ليتنـــي كنـــتُ فـــي البلـــوى مُعـــزيَكم! ... لكـــنْ نصـــيبي الـــذي ألقـــاهُ عـــن رغـــم

يـــا ليتنـــي كنـــتُ فـــي قـــومي مُشـــيّعه! ... لكـــنْ قهـــرتُ علـــى النصـــيب والقِسَـــم

إنـــي بصـــحبة (إبـــراهيم) مفتخـــرٌ ... فخـــراً يُغـــازلُ نظـــمَ الشـــعر والـــنغم

فـــي عِشـــرةٍ شَـــرُفتْ ، مـــا كـــان أقصـــرَها! ... كأنهـــا طـــائفٌ مـــن عـــاطر الحُلـــم!

فـــي ربـــع قـــرن تمضّـــى مثـــل أمســـيةٍ ... تصـــرّمتْ ، وشـــذاها غيـــرُ منصـــرم

إن كنـــتُ أنســـى فـــلا أنســـى مواقفـــه ... إذ لا يقـــومُ بهـــا جيـــلٌ مِـــن الأمـــم!

ولســـتُ أنســـى دمـــي علـــى ملابســـه ... كأنمـــا صُـــبغتْ بـــالوَرْس والعَـــنم

ولـــم أغـــبْ يومهـــا عـــن وعـــي مَـــن سُـــفكتْ ... دمـــاؤه فـــي سُـــويعات الشـــقا الـــدُهُم

إذ ضـــمّ رأســـي ، وواســـاها ، ووسّـــدها ... صـــدراً تجلـــد فـــي الآلام والإزم

وقـــال: أبشـــرْ بسِـــيما الخيـــر يـــا رجُـــلاً! ... بُشـــراكَ بُشـــراكَ هـــذي أطيـــبُ الســـيَم!

أتيـــت تـــأمر بـــالمعروف مـــؤتمراً ... بـــه ، وتنهـــى عـــن الأوزار واللمـــم

وجئـــت تبنـــي الـــذي ألفيـــت منهـــدماً ... وفـــي طوايـــاك عـــزمٌ غيـــرُ منهـــدم

ظنـــي سيشـــفيك ربٌ أنـــت تعبـــدُه ... وفقـــاً لمَـــا سَـــنّ فـــي مِنهاجـــه اللقـــم

أنـــا أصِـــبتُ ، و(إبـــراهيمُ) بعـــدُ نجـــا ... فـــي حـــادثٍ لـــفّ بالأشـــجان والقحَـــم

لأن فـــي العمـــر أعوامـــاً لنـــا بقيـــتْ ... لمَوعـــــدٍ بقضـــــاء الله مُنحســـــم

أعوامُـــه انتظمـــتْ فـــي مَرّهـــا قـــدُماً ... كعِقـــد غانيـــةٍ فـــي الجيـــد مُنـــتظم

واليـــومَ يرحـــلُ (إبـــراهيم) تاركنـــا ... فـــي شـــر حـــال مـــن الـــبلاء مـــنفحم!

يـــا (كفـــر ســـعدٍ) ألا رفقـــاً بصـــاحبنا ... أتـــاكِ كهـــلاً ليبقـــى الـــدهرَ فـــي رَجَـــم!

علـــى الرحيـــل حملـــتِ الشـــهمَ مُحتلمـــاً ... مـــا الفـــرقُ بـــين عطـــا كهـــل ومحـــتلم؟!

(عجمـــانُ) أكرمـــتِ الغريـــبَ ، فـــاعتبري ... كيثـــربٍ رحبـــتْ بالمصـــطفى الهشِـــم

فرحّبـــــي بالخليـــــل اليـــــوم فارقنـــــا ... إليـــك فـــي رفقـــة الأهلـــين والحَشَـــم

وناوليـــــه مـــــن الحنـــــان أعذبَـــــه ... وأســـــعديه ببـــــذل الخيـــــر والـــــنعم

إنـــي أعـــزي الألـــى فـــي موتـــه حزنـــوا ... ويَسْـــطرُ الشـــعرُ مـــا يُملـــي عليـــه فمـــي

فمـــن يُعـــزي فـــؤادي فـــي بليتـــه ... والـــروحَ إذ حُبســـتْ فـــي مـــأزق وخـــم؟

ليمـــــنح اللهُ (إبـــــراهيمَ) رحمتـــــه ... ومَـــن ســـيَرحمُ مثـــلَ الـــراحم الحكـــم؟!

ابن باز قلعة العلم! – مساجلة عشماوية

(رثى الدكتور العشماوي الشيخ عبد العزيز بن باز لقصيدة عنون لها بـ: (قلعة العلم)! وكانت هذه المساجلة الشعرية لقصيدة الدكتور عبد الرحمن العشماوي: (ابن باز قلعة العلم!) على ذات بحره ورويه وقافيته! حباً لابن باز – رحمة الله عليه - وحباً للدكتور العشماوي ، وإعجاباً بقصيدته الجميلة التي بينت مكانة ابن باز بين العلماء ودوره في نشر العلم وتوضيح التوحيد والعقيدة! يقول مطلعها:

خفقـــانُ قلـــب الشـــعر أم خفقـــاني؟ أم أنـــه لهـــبٌ مـــن الأحـــزان؟

مـــاذا يقـــول محـــدثي؟ أحقيقـــة مـــا قـــال؟ أم ضـــربٌ مـــن الهـــذيان؟

وينطلق الدكتور العشماوي متناولاً مآثر ابن باز إلى أن يختم قصيدته بوداع الشيخ والدعاء له فيقول:

يـــا رب قـــد أصـــغتْ إليـــك قلوبنـــا وتعلقـــتْ بـــك يـــا عظـــيم الشـــان

الشـــيخ مـــات عليـــه أنـــدى رحمـــةٍ وأجـــل مغفـــرةٍ مـــن الـــرحمن

فقلتُ مساجلاً للقصيدة ، ومعزياً الأمة في مجموعها ، وطلبة العلم الشرعي على وجه الخصوص!)

خبـــرٌ تعـــدى طاقـــة الســـلوانِ ودهـــى فـــؤادي ثـــم غـــال جنـــاني

طـــارتْ بـــه الآفـــاقُ ، حتـــى جـــاءني والقلـــبُ غـــصّ بدمعـــه الهتـــان

كـــم قِيـــلَ مـــات الشـــيخ مـــن عهـــدٍ مضـــى فـــإذا بهـــا فـــي النـــاس كذبـــة شـــاني!

بـــئس الإشـــاعة لا يكـــف أوارهـــا بالكيـــد إذ تحتـــاجُ للبرهـــان!

لكـــنّ خُبْـــرَ اليـــوم خُبْـــرٌ صـــادقٌ كلماتُـــه نســـجتْ مـــن الأحـــزان

وعليـــه مـــن ألـــم الفجيعـــة معلـــمٌ كرســـالةٍ قرئـــتْ مـــن العنـــوان

المـــوت حـــقٌ ، والجميـــعُ إلـــى الفنـــا والملـــك يـــوم البعـــث للـــديان

لكنـــه ألـــمُ الفـــراق ووقعـــه والـــنفس تكـــره أن تعـــيش تُعـــاني

ولـــئن رضـــينا بالمقـــادر والقضـــا لكنـــه خطـــبٌ عظـــيمُ الشـــان

أنـــا يـــا (ابـــنَ بـــاز) قـــد فجعـــتُ بمـــوتكم وأتـــى الـــذي مـــا كـــان فـــي الحُســـبان

مـــا كنـــتُ أحسِـــبُ أن مـــوتكمُ لظـــى يكـــوي الفـــؤاد كجـــذوة مـــن نـــار

إنـــي احتســـبتُك عنـــد ربـــي شـــيخنا ومـــن الـــذي يرضـــيك كـــالرحمن؟

وأرى شـــريط الـــذكريات مُرجّعـــاً مـــن ذكرياتـــك والمَعـــين الـــداني

ومحاضـــرات قـــل أن تلقـــى لهـــا ولمُجتبيهـــا مـــن نظيـــر ثـــاني

حبّرتهـــــا ، ونفحتهـــــا ، ونشـــــرتها فـــــي العـــــالمين بدقـــــةً وتفـــــاني!

ومنـــــاظرات فـــــاح عطـــــر أريجهـــــا وبهـــــا عِظـــــاتٌ غضـــــة وحـــــواني

لـــــم تنهـــــر الخصـــــم الـــــذي هـــــو كـــــارهٌ بـــــل فـــــي اللقـــــاء تقابـــــل الخصـــــمان

وإن اســـــتطال الخصـــــم لمـــــا تســـــتطل وكـــــذاك لـــــم تجـــــنحْ إلـــــى العُـــــدوان

بـــــل كنـــــت ترجمـــــه بحجـــــة واثـــــق خبـــــرَ الجـــــدالَ بمنطـــــق القـــــرآن

ووعـــــى حـــــديث المصـــــطفى ورجالـــــه ووعـــــى كـــــذلك سُـــــنة العـــــدنان

ولـــــه علـــــى الإســـــلام أصـــــدق غيـــــرةٍ مشـــــفوعة بنصـــــاعة العرفـــــان

ولـــــه علـــــى الفتـــــوى رصـــــينُ أمانـــــة إن (ابـــــن بـــــاز) عـــــالمٌ ربـــــاني

وتميّـــــزتْ حلقاتـــــه بوضـــــوحها وإجابـــــة الفتـــــوى بـــــدون تـــــواني

مـــــتحملاً مـــــا قـــــد يجـــــر صـــــراحة مـــــن كـــــل مجهـــــال ومـــــن دُهقـــــان

كـــــم صـــــد بدعـــــة مفتـــــر متخـــــرص دنـــــس الســـــريرة مقـــــرفٍ فتـــــان

كـــــم عطـــــر الـــــدنيا بطيـــــب علمـــــه! كـــــم ذر نـــــور العلـــــم فـــــي البُلـــــدان!

وأعـــــاد للـــــدنيا (ابـــــن حنبـــــلَ) رافعـــــاً علـــــم الشـــــريعة فـــــي ربـــــا الأوطـــــان

حتـــــى إذا رحـــــل افتقـــــدنا عالمـــــاً عـــــف الطويـــــة صـــــادق الإيمـــــان

إنـــــا لنحســـــبه ، وربـــــي حسْـــــبُه ووكيلـــــه المتعـــــال ذو الســـــبحان

ربـــــاه فـــــاغفرْ لابـــــن بـــــاز ذنبـــــه وامـــــحُ الـــــذي قـــــد كـــــان مـــــن عصـــــيان

ربـــــاه واشـــــمله بـــــوافر رحمـــــةٍ وأجُـــــره يـــــا ربـــــي مـــــن النيـــــران

ربـــــاه أكـــــرمْ يـــــا مهـــــيمن نزلـــــه ومـــــن الـــــذي يُقـــــري قِـــــرى الـــــديان

ربـــــاه أخلـــــفْ للخلائـــــق غيـــــره وارزقـــــه بـــــذل العلـــــم والإحســـــان

وأحطـــــه بـــــالطلاب يرجـــــون الهُـــــدى واجعلهـــــمُ مـــــن صـــــفوة الأعـــــوان

واجمـــــعْ علـــــى الخيـــــر الجميـــــع إذا اهتـــــدوا واجعـــــلْ لهـــــم شـــــيئاً مـــــن الفرقـــــان

بكائية إسماعيل سليم (فقيد التربية والتعليم)

(التقيتُه صاحباً محترماً وصديقاً غالياً هنا في (دار غربتي) عام 1993م. ألا وهو الأستاذ إسماعيل علي سليم ، من أهل (ظفر)! وكان جاري حيث سكم في بيت عبد الغني النجار في ذات البيت الذي أسكن فيه! والذي أعجبني فيه حبه الشديد للتوحيد والعقيدة ، وحرصه على مدارستهما جداً! وكان لا يمل من سماع خطب ومحاضرات التوحيد والعقيدة! وأحب الشيخ الدكتور محمد جميل غازي كل الحب ، وتابع محاضراته ودروسه! وأحب من الميتين الأحياء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناءه وأحفاده ممن حذا حذوه واتبع منهاجه! واقتنى العديد من كتاباتهم وأبحاثهم! ودارت بيننا نقاشات عديدة حول اللغة العربية شعرها ونحوها وصرفها وبلاغتها وأصول اشتقاقها! ولم يكن يرى كبير فرق بيننا في السن ، رغم أنه كان يكبرني بأعوام! وكان يحب الشعر العربي الموزون والمقفى ، واعتاد أن يحتفظ بقصائدي بعد نشرها! فأعد حقيبة في داره – أراني إياها - ليحتفظ فيها بما أنشره من أشعار! الأمر الذي لا يصنعه أهلي! وسافرنا معاً ، وتبادلنا الزيارات بالأهل وبغير الأهل! وكان لا يفرق في معاملته لي ومعاملته لإخوته من أبيه وأمه! وكان يردد: أراك لي في غربتي أفضل منهم! لأنني إن أصابني مكروه ، كنت أنت أقرب منهم وأسرع نجدة وأطول يداً! وكنت إذ يمدحني أقول له: لا تقطع عنق أخيك! وأتوجه إلى الله تعالى بدعاء الصديق – رضي الله عنه -: (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، ولا تفتني بما يقولون ، واغفر لي ما لا يعلمون)! وكان يقدمني للناس من معارفه وزملائه معرفاً الاسم بالأستاذ ، وكأنني عنده الأستاذ الوحيد الأوحد فلا أستاذ قبلي ولا أستاذ بعدي! ويذكر لهم من مناقبي وأشعاري ودواويني ما يجعلني أخجل من فرط إطرائه ومدحه! وسألته عن ذلك فقال: أنا إذ أفعل ذلك فأنا أمدح نفسي! لأن صاحبي بهذ المواصفات فكأنني صاحبت رجلاً ذا شأن فاعذرني! وكنت أعذره بناء عن طلبه! ولكنني ناشدته أن يقلل من مدحه وإطرائه وثنائه ما استطاع إلى ذلك سبيلا! وكان يخصص لمُدارسة العلم وتلاوة القرآن وإنشاد الشعر في بيته أوقات أسبوعية نحضرها سوية بغير انقطاع إلا في الظروف القاهرة جداً! فيعد العشاء والشاي ، ويطلب من أهل بيته أن لا يدخل علينا أحد ، ولا يزعجنا أحد! وخاصة عند تلاوة القرآن ، فلقد اعتدنا على قراءة جزء كامل ، ونتدبره ونتجاذب أطراف الحديث حول ما يشكل من الآيات! كما اعتدت أن أعرض عليه جُل قصائدي ليراجعها ويصححها ويدققها ويحققها ، وذلك قبل أن أرسلها للصحف والمجلات والجرائد ، وبعد أن أرسلها كنت أدفع إليه بنسخة ليلقي نظرته الثانية بعد النشر! وكان صريحاً ودقيقاً للغاية ، وذلك لشدة ملاحظته وقوة شخصيته ، فاعتاد أن يكتشف الأخطاء للوهلة الأولى! واعتاد أن يصطحبنا في سيارته إلى منزل الأخ محمد عبد الوهاب صابر في فلج المعلا! وذلك في سفرات ماتعة رائعة جميلة بصحبة الأهل والأولاد. وظل الحال على ذلك حتى تدهورت صحته إصر إصابته بسرطان الرئة وقد أنهك جسمه تماماً العلاجُ الكيماوي! فإذا بالجسم الطويل الممتد العريض جلد على عظم كما يقولون! وإذا بالوجه قد بدا عظاماً ونتوءات بارزة لناظره! حتى توفاه الله تعالى! في تسعينات القرن المنصرم! فرحمه الله رحمة واسعة! وأسأل الله أن يكون قد قبضه شهيداً! وأن يجعل صراعه مع المرض كفارة لما اقترف من الذنوب! مات وأسرته ومحبوه وأصدقاؤه وجيرانه في أمس الحاجة إليه وإلى خلقه وأدبه وعطائه ونصائحه! فأسأل الله أن يخلفه فيهم جميعاً وأن يرزقهم الصبر والعزاء والسلوان على فراقه! وعسى الله أن يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا! إن تأبيني اليوم لأخي الأستاذ إسماعيل علي سليم

يعد من بعض جميله علي وامتناني بما قدم لي من معروف في هذه الغربة القاسية ، وخاصة بعد تخلي الأهل والأقربين ، وبعد خذلان القاصي والداني لي بغير مبرر لهم جميعاً في ذلك! فكان إسماعيل أبو سليم رجلاً بمائة بمعنى الكلمة! وكان أخاً بكل ما تحمله كلمة الأخ من معاني! وكان صديقاً حميماً مخلصاً ولا نزكيه على الله ، فالله تعالى حسيبه ووكيله! كما كان الأستاذ إسماعيل سليم (أبو عبد الله) رجلاً صريحاً لا يخاف في الله لومة لائم! يقول الحق ولا يهمه ضجر فلان أو غضب علان! وما سألت أحداً من أهل ظفر الموحدين المؤمنين منهم إلا مدحه وأثنى عليه خيراً! ولم يكن يذمه وينال منه إلا عبدة القبور والأضرحة من الذين لم يحققوا ركن الشهادة الأول! فلله درك يا إسماعيل! لا يمدحك ولا يثني عليك إلا أهل التوحيد والإيمان والعقيدة! وكنت أتمنى أن لا أعيش اليوم الذي أؤبن فيه إسماعيل سليم ، ولكنها إرادة الله وقدره ومشيئته! وإن القلب ليخشع ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا: (وإنا على فراقك يا إسماعيل لمحزونون لمحزونون لمحزونون)! وأدرك أن أبناءه اليوم صغار لا يدركون من القصيدة مغزاها ولا معناها ولا ما وراءها ولا المراد منها! وعندما يأتي اليوم الذي يدركون فيه هذا كله ، سوف أدفع إليهم بقصيدة تأبين أبيهم – رحمه الله رحمة واسعة -.)

يـــا إســـماعيلُ أنـــا – واللهِ - محـــزونُ ... والقلـــبُ – مِـــن ثِقـــل المأســـاة - مَطعـــونُ

أبكـــــي عليـــــك بـــــدمع لا تُجففـــــه ... ذكـــــرى مُكابـــــدةٍ حَـــــرَّى وتـــــأبين

والـــــنفسُ يخنقهـــــا أنـــــينُ كُربتهـــــا ... والوَجـــدُ بـــالنفس رغـــم الأنـــف مَقـــرون

والـــــروحُ لاعِجَـــــة تنعـــــى أخـــــى ثقـــــةٍ ... دنيـــايَ طابـــت بـــه ، والعـــيشُ ، والـــدين

وبالمشـــــــــاعر آلامٌ تُجنـــــــــدلها ... ولـــــيس تـــــنقصُ مـــــا أروي البـــــراهين

وللأحاســـــــيس أنـــــاتٌ ومَلهبـــــة ... لأن صـــــاحبها ثـــــاو ومَحـــــزون

ولا أزخـــــرفُ مـــــا أحكيـــــه مـــــن كَمـــــدٍ ... إذ يَقتـــــلُ الشـــــعرَ والإحســـــاسَ تدشـــــين

كـــم يَفقـــدُ الشـــعرُ بالتدشـــين مِـــن قِـــيم! ... وكـــم يُشـــوّه مـــا يحويـــه تـــزيين!

ولكـــنِ الصـــدقُ يُعطـــي الشـــعرَ نضـــرته! ... فينطـــق الـــنص مـــا تحـــوي المَضـــامين

يـــا إســـماعيل لمَـــن تركـــت خُلتنـــا ... فـــي غربـــةٍ كلنـــا فيهـــا مســـاكين؟

مِـــن حولنـــا النـــاس تشـــقيهم دراهمهـــم ... لهـــم بجمـــع الـــدنانير الأفـــانين

أمـــا تـــذكرت مـــا قلنـــاه مـــن كَلِـــم ... فيـــه القـــريضُ نـــديُّ الـــنص مَـــوزون؟

أمـــا تلوْنـــا كتـــاب الله صُـــبحَ مَســـا؟ ... والأجـــر عنـــد مليـــك النـــاس مضـــمون!

ألـــم تـــدققْ مـــن الأشـــعار أغلبهـــا ... وبيننـــا الرفـــقُ والتيســـير واللـــين؟

ألـــم تجُـــدْ بفضـــول الخيـــر مُحتســـباً ... حتـــى أحبـــك مُحتـــاجٌ ومَـــديون؟

ألـــم توصّـــل لمستشـــفى الألـــى مرضـــوا ... حتـــى يكـــون لمـــن تعـــول تـــأمين؟

ولســـتُ أنســـى ســـيول الغيـــث هاطلـــة ... لا تســـتقرّ ببلواهـــا المـــوازين

وأنـــت تبصـــرُ فـــي (عجمـــانَ) وَطأتهـــا ... مُســـتعذباً مـــا تـــرى ، والخيـــرُ مَكنـــون!

حتـــى إذا سُـــرقتْ – فـــي الليـــل - مَركبـــة ... ســـطا عليهـــا مَفـــاليسٌ دَهـــاقين

تخِـــذت أخـــرى لكـــي تـــأتي توصّـــلنا ... لأن جُـــودَك – بـــاليقين - مَحصـــون

مُفوّضـــاً أمـــرَ أولاك التـــي سُـــرقتْ ... لله لمّـــا مضـــت بهـــا الشـــياطين!

لـــو شـــاء ربـــك – بعـــد البحـــث - أرجعهـــا ... فـــأمرُ رب الأنـــام الكـــافُ والنـــون

ثـــم اشـــتريتَ دواء الطفـــل إذ عجـــزتْ ... يـــدا أبيـــه ، لأن الأبّ مســـكين!

دارت عليـــه رحـــى خُـــذلان إخوتـــه ... فـــي غربـــةٍ يزدهـــي فيهـــا القـــوارين

وكـــم ذهبـــتَ إلـــى الأهلـــين تمـــنحهم ... بعـــض الأمـــان ، وبـــذلُ الخيـــر ممنـــون!

فـــي (كفـــر ســـعدٍ) تـــزور الأهـــلَ محـــتملاً ... طـــولَ المســـافة ، مهمـــا نالـــك الحِـــين

وحـــاملاً لهـــمُ الحقائـــبَ امـــتلأتْ ... بمـــا ينـــوء بـــه الجنـــدُ الأســـاطين

عشـــنا كمـــا الأهـــل فـــي (عجمـــان) تكلأنـــا ... محبـــة عاشـــها الغُـــر الميـــامين

ويـــومَ أحرقـــتِ النيـــرانُ مَطـــبخكم! ... فمطـــبخ البيـــت مَحـــروقٌ ومـــدخون!

وزوجُكـــم – بعـــد حيرتهـــا – بنـــا اتصـــلتْ ... ثـــم انطلقـــتُ كمـــا يجـــري المجـــانين

أريـــد نجـــدتها وسِـــلمَ دارتهـــا ... وبعـــدُ جئـــتَ فغالتـــك الأظـــانين

فأخمِـــدَتْ نارهـــا بفضـــل خالقهـــا ... والبـــذلُ للصـــحبة العصـــماء عربـــون

يـــا إســـماعيل فهـــل مللـــت صـــحبتنا ... فـــاخترت موتـــك ، إن المـــوت مَســـنون؟

لـــو خيّـــر المـــوتُ لـــم تـــذهبْ ضـــحيته! ... ومـــا طـــواك – مـــع الفـــانين – (تـــدخين)

قـــد كنـــت فينـــا صـــحيحاً لا تعرقلـــه ... تعلّـــة ، أو تدانيـــه الطـــواعين!

عافـــاك ربـــك مـــن داءٍ ومـــن مـــرض ... كمـــا تعـــيش هنـــا الأسْـــدُ العَـــرانين

حتـــى ابتليـــتَ بأوجـــاع شـــقيتَ بهـــا ... فالصـــحة انـــدحرتْ ، والجســـم عُرجـــون

ومـــن رآك بكـــى الشـــبابَ ســـربله ... سُـــقمٌ ، ولـــيس لحـــال الجســـم تحســـين

والوجـــهُ أمســـى عِظامـــاً للـــورى بـــرزتْ ... والجســـمُ مـــن عِظـــم البلـــواء مطحـــون

مـــاذا أصـــابك بـــين النـــاس يـــا رجـــلاً؟ ... بَـــيّنْ لنـــا ، قـــد يُجيـــب السُـــؤلَ تبيـــين!

يـــا إســـماعيلُ عليـــك العـــينُ دامعـــة ... والشـــعرُ يبكـــي ، وترثيـــك الـــدواوين

أجـــرٌ وعافيـــة ، ورحمـــة نزلـــتْ ... ومَحـــو ســـيئةٍ إن كـــان تفطـــين

ويَخلـــفُ الله عبـــداً فـــي حَليلتـــه ... وفـــي ابنتيـــه ، وعـــون الله مضـــمون!

وفـــي صَـــبيّين مـــا اشـــتدا ومـــا رشـــدا ... كـــل بـــراع يقـــود العـــيش مَرهـــون

يـــا أســـرة فقـــدتْ فـــي النـــاس راعيَهـــا ... فـــي الأرض مِـــثلكمُ عاشـــت ملايـــين

لا تســـتكينوا لبلـــواكم ومحنـــتكم ... وعنـــد ربكـــمُ للنـــاس تـــوهين

تـــذكروا المـــوت قـــد وافـــى (محمـــدنا) ... ففـــي تـــذكّره ســـلوى وتهـــوين

تـــذكروا اليُـــتم قـــد دهـــى (محمـــدنا) ... فيُتمـــه فـــي جَـــواه اليُســـرُ مَكنـــون!

ويَـــرحم الله (إســـماعيل) مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، وخـــالط مـــاءَ الوابـــل الطـــين!

ويَغفـــرُ الله ذنبـــاً كـــان قارفـــه ... إذ كـــل عبـــدٍ بمـــا يَهـــواه مَفتـــون

أطفال تحت الأنقاض!

(إنه بعد القصف الهمجي البربري للديار الآمنة المُبتلاة في أرض الرباط المقدسة المباركة ، سقطت بنايات على رؤوس أصحابها وساكنيها! وقدّر عدد الضحايا بخمسة آلاف تقريباً! وأغلبهم من الأطفال المساكين الذين جمعتُ أشلاؤهم من تحت الأنقاض مِزقاً! لا لشيء إلا لأنهم مسلمون مسالمون أبرياء يقولون: ربنا الله! لقد غر هؤلاء الأعداء المتعجرفين العُتاة حِلمُ الله عليهم! (إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)! نسأل الله أن ينتصر لأوليائه ولهؤلاء الأبرياء الضحايا! كما نسأله أن يُحق الحق بكلماته ، ويقطع دابرَ الكافرين ، في قضية طال عليها الزمن ، وامتدت إلى ثلاثة أرباع القرن! والله المستعان! إنهم أطفال الحجارة بالأمس! خذلهم القاصي والداني لتنهال عليهم الحجارة اليوم! والحمد لله الذي تسبح له الرمال ، وتسجد له الظلال ، نعم! الحمد لله على كل حال! عزاؤنا أن الله يسمع ويرى! عزاؤنا أن الله غالب لا يُغلب! عزاؤنا أن الله عزيز ذو انتقام! عزاؤنا أن الله يُملي للظالم فإذا أخذه لم يُفلتْه! أطفال الحجارة الذين جابهوا الطغيان بالحجارة! اليوم تنهال عليهم الحجارة على مرأى ومسمع من العالم الذي يدعي الحضارة والإنسانية! أإذا كان هؤلاء الأطفال من غير المسلمين يكون موقف العالم منهم هكذا؟ أم تقوم الدنيا ولا تقعد؟ إنها ازدواجية المعايير إذن والكيل بمكيالين! عموماً ستروي دماء الأطفال - الذين انتشلنا جثثهم من تحت الأنقاض – أجسام إخوانهم وتهبهم روح الجهاد والاستبسال والمقاومة! وسيُخرجُ الله من يواجهوا الطغيان البربري الوحشي المتعجرف بالحجارة! ولو اختبأ الطغيان خلف الحجرة فسوف يُنطقها الله لتُخبر عمن وراءها ليقتله كل مسلم! فما هي قصة المؤمنين مع الحجارة؟! والمؤمنون تشمل الأنبياء والرسل فمن عداهم! ما قصتهم جميعاً مع الحجارة؟! إن للحجارة قصة طويلة ، ممتدة الفصول والحلقات ، مختلفة الأبعاد والأطوار عبر التاريخ الطويل للبشرية ، إنها رمز للقوة والصلابة ، وهي في الوقت نفسه قوة مِطواعة في يد الله يسخرها كيف يشاء ، هي جند من جنوده: (وما يعلم جنود ربك إلا هو). فهذا إبراهيم "خليل الرحمن" عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام ، حين يلاحقه إبليس محاولاً إقناعه بالتمرد على أمر ربه حين أمره بذبح ولده إسماعيل ، ومحركاً في نفسه عاطفة الأبوة ، يلتقط من بطحاء مكة جمراتٍ يقذفها في وجهه ، ويعاود إبليس المحاولة ثلاث مرات في ثلاثة أماكن مختلفة ، طمعاً في النجاح في إقناعه ، لكن إبراهيم - عليه السلام - يعاود رجمه في كل مرة حتى ييأس ، وتصبح هذه السنة الخالدة واجباً يؤديه الحاج في ذلك المكان إلى يوم الدين ، اقتداء بسنة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وتعبيراً عن العداء الأبدي بين المسلم وبين الشيطان. وحين طلب موسى - عليه السلام - من ربه السقيا لقومه وهم في الصحراء استجاب الله له ، وأمره أن يضرب بعصاه حجراً فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل. فالحجر الذي لا يتوقع عاقل أن يخرج منه الماء يستجيب لأمر خالقه ، ويتفجر بالماء العذب الغزير. قال تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً). فهل استطاعت عصا موسى اختراق الحجر والنفاذ إلى أعماق الأرض وتفجير الماء؟ ليس ذلك من خواص العصا ، وليس من صفات الحجر أن يتأثر بضربة عصا وهو الصلب القوي ، ولكنها بقدرة الله ومعجزاته الكبرى يجريها علي يد نبيه ، فتتغير خواص الأشياء ، ويتفجر الماء غزيراً من الحجر بفعل ضربة عصا ، وهي العصا نفسها التي ضرب بها موسى البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. وتقسو قلوب بني إسرائيل حتى تصبح كالحجارة أو أشد قسوة ، بسبب لجاجتهم والتواء طبعهم

الذي لا يتغير ، ومغالطاتهم التي لا تنتهي ، ومماحكاتهم المتكررة ، والحجارة التي يقيس قلوبهم بها ، فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى ، وإذن فهي هي حجارة لهم بها سابق عهد. فقد رأوها تنفجر منها عيون الماء ، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه ربه وخر موسى صعقاً. ولما استحق قوم لوط الهلاك بسبب جريمتهم الشنعاء ، أرسل الله عليهم ملائكته وأمرهم أن يمطروهم بحجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين ، فكانت الحجارة سلاحاً إلهياً فتاكاً ومدمراً في أيدي الملائكة. ويدور الزمن دورته ، ويغزو أبرهة مكة بجيش جرار تتقدمه الفيلة يريد هدم بيت الله العتيق ، ويعجز العرب عن التصدي لهذا الزحف أو التحرش به لضآلة مكانتهم ، وتفرقهم إلى قبائل متناحرة لا يجمعها دين ، ولا توحدها عصبية الجنس ، ويقفون موقف المترقب العاجز الذي لا يدري ما يفعل به ولا ما يراد له كحالهم في هذه الأيام ، ويتعلق زعيم قريش عبد المطلب بأستار الكعبة ومعه القرشيون كلهم ، وهو يردد أرجوزته المشهورة:

لُلهمَّ إن العبد يمنــع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبُهم ومِحالهم أبـــداً مِحالك

جرّوا خيولهم والفيلَ لكي يسبوا عِيالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا ، فأمرٌ ما بدا لك

وتتدخل القدرة الإلهية في هذه اللحظات الحرجة ، التي بلغت فيها القلوب الحناجر ، وشخصت فيها الأبصار ، تتدخل قوة الله وجنده ، فتجتاح الجيش وقائده جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر ، فتتركهم كأوراق الشجر الجافة المخرمة ، ويحفظ الله بيته العتيق ، ويسجّل القرآن الكريم وقائع الحادثة في سورة كريمة يذكر الناس بأن الكون وما فيه يأتمر بأمر خالقه ، ويتحرك بمشئته. وإلى غزوة حنين عندما ولى المسلمون الأدبار ، فيَقبض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حفنة من تراب وحصى ، ويقذف بها وجوه القوم ، فيولون الأدبار ، ويسجل رب العزة هذه الواقعة وحياً يتلى إلى يوم القيامة ، تتلوها الأجيال جيلاً بعد جيل إلى قيام الساعة: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى). والحصى يسبح في يد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله العظيم إذ يقول: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم). وأحد جبل يُبادل الرسول صلى الله عليه وسلم الحب والحنين ، وكأن له قلبا ينبض بالمشاعر ويجيش بالحب والوفاء ، "أحد جبل يحبنا ونحبه". وتروي لنا كتب التاريخ قصة القائد التركي الذي نفذت ذخيرة جيشه في إحدى المعارك فأشار عليه جنوده بالاستسلام ، ولكنه أبى وتذكر قول الله تعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى). واستخدم الحجارة بدلاً من الذخيرة ، واستطاع تحويل الهزيمة إلى نصر. وفي الأرض التي بارك الله فيها أطفال لم يبلغوا سن الرشد يقذفون الأعداء بالحجارة ، بعد أن انتظروا طويلاً نجدة الأهل والعشيرة فلم يصلهم منهم سوى عبارات الاستنكار والتنديد والوعود الجوفاء ، وانتظروا المنظمات الدولية لتعيد لهم الأرض التي طردوا منها ، وتخليصهم من الظلم الذي لحق بهم ، فلم تقدم لهم سوى القرارات والوعود الكاذبة. إن حجارتهم أمضى من صواريخ الجيوش وأفتك ، وهي تثير الرعب والفزع في نفوس الأعداء الجبناء ، لأنها تنطلق من الأيدي المتوضئة التي آمنت بربها وحملت الأرواح على أكفها وهي تردد في ثقة المؤمنين وإيمان الواثقين بكل عزم وطمأنينة ورباطة جأش ، وقوة يقين ، وعزة نفوس ، يتعجب لها الكفار بجميع طوائفهم ومللهم ونحلهم:

سأحمل روحـي على راحتي ..... وألقي بها في مهاوي الـردي

فإما حياة تسـر الصديـق ..... وإمـا ممات يغيـظ العـدا

وليس على الله بعزيز أن يهلك هذه العصابة الظالمة المعتدية من الأعداء ، كما أهلك أبرهة وجنوده بحجارة الطير الأبابيل وكما قتل داود بحجارة مقلاعه جالوت: (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك). إن الحجر الذي كان في يوم من الأيام أداة طيعة في أيدي الأعداء فجر لهم الماء حين كانت فيهم بقية من خير ، هذا الحجر يصبح اليوم لعنة تطاردهم ، وعدوا يخيفهم ويرعبهم. ونمضي مع قصة الحجر حتى نصل إلى العهد الذي أشار إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الأعداء ، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا الأعداءي خلفي تعال فاقتله ، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود" ، سيتعاون الحجر والشجر في إرشاد المسلمين ودلالتهم على الأعداء في أرض فلسطين ، وستكون الحجارة والأشجار من جند الله تعين عباد الله المؤمنين ، وتكشف مخابئ الأعداء وأماكن اختفائهم. وصدق الله: (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً). وعندها سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلون. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. بصائر تربوية (بتصرف يسير جداً) ... مراجعة د. عمر سليمان الأشقر! ونعود إلى أطفال الحجارة ، الذين سقطت فوق رؤوسهم الحجارة!)

وَدِّعِـــي يـــا أرض الرِّبـــاط الصِـــغارا ... وامْنحِـــيهم – بعـــدَ الرحيـــل - الفخـــارا

واحضُـــنيهم - قبـــل الـــوداع - احتســـاباً ... واذرفـــي الـــدمعَ لاعجـــاً مِـــدرارا

أخبـــــريهم أن المقـــــاديرَ حَـــــتْمٌ ... يَرتضـــيه مَـــن يعبـــدُ الجبـــارا

أعلمـــيهم أن اللقـــا فـــي جنـــان ... هـــل ديـــارٌ تفـــوق تلـــك الـــدارا؟!

بشّـــريهم بالنصـــر يَغشـــى ذويهـــم! ... مَـــوتُهم يُزجـــي – للحِمـــى - الانتصـــارا

لقنـــــيهم أن الحيـــــاة امتحـــــانٌ ... واجهـــوا - فيـــه - التضـــييقَ والإحصـــارا

بصّـــريهم بـــالحق يحتـــاجُ جنـــداً ... والجنـــودُ لا يخـــذلون الـــديارا

أرشـــديهم إلـــى المعـــالي بَنَوهـــا ... فـــي نفـــوس يومـــاً تحـــوز الثـــارا

واغمُـــريهم بالحـــب كـــي يســـتريحوا ... ســـوف نغـــدو - مـــن بعـــدهم - كُـــرّارا!

لـــن يمـــرّ تقتـــيلهم دون ثـــأر! ... ذات يـــوم يجنـــي العـــدوُ الخســـارا

أي عصـــر هـــذا الـــذي نحـــن نحيـــا؟ ... فـــاقَ فـــي الســـوآى والأذى الأعصـــارا

تُقصـــفُ الـــدُورُ دون أدنـــى اعتبـــار ... هـــل كِفـــارٌ لهـــا أقـــاموا اعتبـــارا؟!

فـــوق رُوس الســـكان تُرمـــى المنايـــا ... ناشـــراتٍ - بعـــد الســـقوط - انفجـــارا

ثـــم تهـــوي كـــل المبـــاني تِباعـــاً ... ثـــم لا نلقـــى - فـــي الـــدنا - آثـــارا!

والضـــحايا الرجـــالُ لـــم يَســـتعدّوا ... كـــي يَجُـــوزوا الحُتـــوفَ والأخطـــارا

والنســـا أمســـيْن كَـــبشَ فِـــداءٍ ... والـــردى مـــا اســـتثنى النســـا والصـــغارا

أي قـــانون يَرتضـــي القصـــفَ ظلمـــاً ... أو يُقـــرَ قتـــلَ الـــورى إقـــرارا؟!

أي شـــرع يُبـــيحُ تهجيـــرَ قـــوم ... مُضْـــرماً - فـــوق النـــازحين - النـــارا؟!

أي عُـــرفٍ يرضـــى بســـفك دمـــاءٍ ... مُســـتبيحاً – فـــي حربـــه – الإهـــدارا؟!

نحـــن - بـــالمولى ربنـــا – نتعـــزى! ... رب فـــالطفْ بـــالمُبتلين الحيـــارى!

قـــد رفعنـــا أكُفنـــا فـــي انكســـار ... بـــاذلين - فـــي كربنـــا - الانكســـارا

ربنـــا اجعـــلْ لنـــا انفراجـــاً قريبـــاً ... ربنـــا ارحمنـــا مِـــن مِحنـــةٍ لا تُبـــارى

رب أدركْ شـــعباً يُعـــاني البلايـــا ... والرزايـــا ، وبعـــدُ يشـــكو الحِصـــارا

رب دمّـــرْ علـــى الأعـــادي قـــراهم ... مثلمـــا هـــم قـــد دمـــروا الأمصـــارا

جَرّعونـــا كـــأسَ الحِمـــام انتقامـــاً ... فاكْتوينـــا بالعائـــدات اضـــطرارا

جَنـــدلونا فـــي كـــل صُـــقع ووادٍ ... وأهـــالوا - مـــن فوقنـــا - الأحجـــارا

رب أرســـلْ بأســـاً شـــديداً علـــيهم ... رب وانصـــرْ أجنادَنـــا الأخيـــارا

رب سَـــدّدْ رميـــاً رمـــاه (النشـــامى) ... جاهـــدوا هـــم ، لمّـــا يَفـــروا فِـــرارا!

أعلنوهـــا: نعـــيشُ عيشـــاً كريمـــاً ... أو نمـــوتُ أشاوســـاً أبـــرارا!

مـــا اســـتكانوا ، ولا ارتضـــوا عـــيش ذل ... يُـــورثُ الـــنفسَ ذِلـــة وصَـــغارا

قـــاوموا ظلـــمَ المُعتـــدين بعـــزم ... أفلحـــوا إذ هـــم قـــاوموا الأشـــرارا

نحـــن - خلـــفَ المجاهـــدين - رَعيـــلٌ ... لا نخـــافُ ظلمـــاً ولا كُفـــارا!

نحـــن مـــنهم ، ثـــم المغـــاويرُ منـــا! ... غيّبـــاً كـــان الشـــم أم حُضـــارا

نحـــن شـــعبٌ أهدافـــه قـــد تلاقـــتْ ... فالمصـــيرُ قـــد وحّـــدَ الأفكـــارا!

مـــن رُكـــام الأنقـــاض يخـــرجُ جيـــلٌ ... يعبـــــدُ الله الواحـــــدَ القهـــــارا!

يأخـــذ الثـــأرَ مـــن عِـــداةٍ عُتـــاةٍ ... لا يُطيـــقُ – للظـــالمين - جـــوارا!

إن (ســـايكس بيكـــو) ســـتُعطيه درســـاً ... أنّ وهـــمَ الســـلام أمســـى شِـــعارا

ودمـــاءُ الأطفـــال تُهديـــه بأســـاً ... وبقايـــا الأشـــلاء تُهـــدي اصـــطبارا

وبكـــاء الأيتـــام يُهديـــه جأشـــاً ... والثكـــالى يُطرينـــهُ ، والعـــذارى!

والأيـــامى يَـــذكُرْن كيـــدَ الأعـــادي ... مُنكِـــراتٍ عليـــه ذاك الـــدمارا!

عبَـــثٌ مـــا يجـــري ، وسُـــخفٌ ، وعـــارٌ ... يـــا تُـــرى مَـــن يهـــوى الخنـــا والعـــارا؟!

أن تُبـــادَ البيـــوتُ بيتـــاً فبيتـــاً ... بصـــواريخ الكفـــر غيثـــاً جـــؤارا

والبرايـــا تحـــت الركـــام ضـــحايا ... يســـتغيثون الـــراحمَ الغفـــارا

ثـــم تحـــت الأنقـــاض غابـــت جُســـومٌ ... واشـــتكتْ أحجـــارَ البِنـــا ، والغبـــارا

أصـــبحتْ أجســـام الضـــحايا ســـراباً ... خادعـــاً لا يســـتلفتُ الأنظـــارا

ثـــم نستقصـــي مـــن يُعيـــدُ المبـــاني ... أو نكـــافي مـــن ينشـــدُ الإعمـــارا

ثـــم - بعـــد الإعمـــار – قصـــفٌ وهـــدم! ... نحـــن لا لـــم نـــؤدب الفجـــارا

مَشـــهدٌ مكـــرورٌ ، فلـــيس جديـــداً ... كـــم رأينـــاهُ – جهـــرة – أمـــرارا!

إن أعيـــدَ الإعمـــارُ أيـــن البرايـــا ... مَـــن علـــيهم دموعُنـــا أنهـــارا؟!

إن بنينـــا ديـــارَهم والســـرايا ... أيـــن مـــن كـــانوا يســـكنون الـــديارا؟!

لـــو رأى الأعـــداءُ عزمـــاً وحزمـــاً ... واتحـــاداً لوَلـــوُا الأدبـــارا

رب وحـــدْ صـــفوفنا ، وانتشِـــلنا ... مـــن شِـــقاق يَزيـــدُنا اســـتهتارا

وانتصـــرْ ، إنـــا غلِبْنـــا ، وضِـــعْنا ... لـــك أعـــذرْنا – ربّنـــا - إعـــذارا

ربنـــا اســـتُرْنا ، وارضَ عنـــا ، وأصْـــلحْ ... لـــيس يشـــقى مَـــن يَســـألُ الســـتارا!

تحية شعرية لسلاطين آل عثمان!

(إنها تحية أنقشها شعراً للسلاطين المؤمنين الموحّدين المظلومين المفترى عليهم ، من أشاوس آل عثمان بن أرطغرل ، سادة الزمان وعماليق المكان! وذلك بعد أن استعرضتُ تاريخهم الحافل بالبطولات والمناقب. وأدركتُ كيف نال منهم المستشرقون والمنافقون والمرتزقة ، ولماذا وكيف ، ولكن بعد حين.)

رحـــــلَ الألـــــى تُشـــــجيهمُ الهيجـــــاءُ ... فاستأســـــدتْ – فـــــوق البطـــــاح - الشـــــاءُ

يـــــــا آل عثمـــــــان أزفَّ تحيتـــــــي ... شِـــــعراً بـــــــه يتـــــــرنمُ الأدبـــــــاء

وأمُـــــــدُّ كفـــــــاً بالســـــــلام مُرحِّبـــــــاً ... وصـــــدى القـــــريض يُحبـــــه الشـــــهداء

رفقـــــاً (أدِرْنـــــة) ، فالأبـــــاة أمانـــــة ... وجهـــــادهم - فـــــي الخـــــافقين - ضـــــياء

أحيـــــاءُ - عنـــــد الله - يُـــــرزق جمعُهـــــم ... فـــــرحين ، والمـــــأوى ثـــــوا وجـــــزاء

مستبشـــــرين بمـــــن ســـــيلحق ركـــــبَهم ... ويضـــــم كُـــــلاً – فـــــي الجنـــــان - لقـــــاء

كـــــم شـــــيّدوا الأمجـــــادَ فـــــوق ربوعنـــــا! ... وبهـــــم أبيـــــدَتْ – فـــــي الـــــدنا - الظلمـــــاء

كـــــم أوقفـــــوا الكفـــــارَ عنـــــد حُـــــدودهم ... جبـــــراً ، ومـــــا ردّتهـــــمُ البأســـــاء!

كـــــم أدّبـــــوا الفجـــــارَ دون هـــــوادةٍ! ... فـــــإذا الكِفَـــــار مُجنـــــدلٌ وسِـــــباء

كـــــم قـــــاتلوا لتكـــــون كِلْمـــــة ربنـــــا ... عُليـــــا ، ومـــــا أضـــــنتهمُ الهيجـــــاء!

حتـــــى إذا رحلـــــوا اســـــتحالتْ دُورنـــــا ... رُقعـــــاً تـــــداعى - فوقهـــــا - الأعـــــداء

كـــــلٌ يريـــــد مِـــــن الفريســـــة حظـــــه ... والـــــدَوْرُ قسّـــــم ، لـــــيس فيـــــه خفـــــاء

وإذا بقـــــوم يكشـــــفون زيـــــوفهم ... وهـــــمُ – لـــــدين الله – نِعـــــم فـــــداء!

وعلـــــى النقـــــيض هنـــــاك قـــــومٌ نـــــافقوا ... وهـــــمُ - لمـــــن غصـــــب الـــــدنا - عُمـــــلاء

يـــــا آل عثمـــــان معـــــالمُ حُكمكـــــم ... ذهبـــــتْ ، وحـــــل محلكـــــم سُـــــفهاء

يـــــا رب فـــــارحمْ مـــــن أتـــــى لـــــك مؤمنـــــاً ... والطـــــفْ بنـــــا ، عـــــاتٍ علينـــــا الـــــداء!

الأطـلالُ اليمنيــة 1!

(معارضة لقصيدة الشاعر الفذ: إبراهيم ناجي (الأطلال)

(أعجبَ ذلك العاشقُ اليمنيُ بفتاةٍ يمنيةٍ حَشيمةٍ أديبةٍ فقيرةٍ للغاية! تعيشُ في (صنعاء) وتعيش قبيلتها في (المُكَلا)! فأخبر أمه أن تذهب إلى أمها ، وتتفق معها على الخِطبة مَبدئياً ، وذلك ليعرفَ إن كانت الفتاة ترغبه زوجاً أم لا! وعادتِ الأم بالبشارة ، ولكنْ بشرطٍ واحدٍ ، وهو أن يتقدمَ للقبيلة بعد أن يوفر لها مَهرَها ويُجَهز بيتها حتى لا يرفضه القوم! فمكث على ذلك شهوراً يتلظى بحُبها ، ويحُولُ فقرُه دون الزواج منها! ثم أتى القبيلة يمنيٌ آخرُ لا يقلُ عن الأول في الأدب والخلق والدين! ولكنه زاد فرقاً واحداً ، وهو أنه غنيٌ ميسورُ الحال ، ويستطيعُ أن يُثقلها ذهباً إن أراد قومها ذلك! وإذنْ فهو جاهز للزواج بها من ليلته! فوَقعتِ الفتاة العاشقة في حَيرةٍ بين مُحب عاشق فقير وخاطب راغب ثري! وكلاهما على خلق ودين! فاختارتِ الثاني لتثري قومَها وتنتشلهم من الفقر والعوز مُضحية بحُبها للأول! فتخيلتُ الأول يبكي على أطلال حُبها فلقد خلفته بقايا جسد وخلفها بقايا روح! واخترتُ للأطلال اليمنية قصيدة الشاعر الفذ إبراهيم ناجي: (الأطلال) ببحرها وقوافيها ولم ألتزم عدد الأبيات لطولها!)

يـــــا فـــــؤادي رَحِـــــمَ اللهُ الهـــــوى ... هـــــذه أطلالـــــه تشـــــكو النـــــوى

بـــــات حُبـــــي ضـــــائعاً مُسْـــــتهجناً ... وإلـــــى ماضـــــيهِ مُلتاعـــــاً أوى

****

كيـــف أنســـى غـــادة مِـــن صـــدقها ... بـــادلتْني الحُـــبَ فـــي يُســـر وضِـــيق؟

قلبُهـــا لـــم يعـــرفِ الخـــذلَ ، ولا ... تركتْنـــي فـــي مَجاهيـــل الطريـــق

عاهـــدتْني أننـــي يومـــاً لهـــا ... خيـــرُ زوج ، بيننـــا عهـــدٌ وثيـــق

****

أنسِـــيتْ مـــا بيننـــا ، يـــا للأســـى! ... وأنـــا أبكـــي فـــؤاداً جُرحـــا

وألـــوكُ الوَجـــدَ وحـــدي مُكْرَهـــاً ... فـــي مَســـائي ونهـــاري والضـــحى

عاشـــقٌ تطحنُـــه آلامُـــه ... عكْـــسَ تيـــار الأمـــاني سَـــبَحا

****

أيـــن مِـــن عينـــي غـــزالٌ شـــاردٌ ... فـــي مَغـــاني الأرض تُشـــجيه الظبـــاءْ؟

لـــيس يرضـــى لـــي معانـــاة الهـــوى ... إنمـــا يحمـــلُ عـــن قلبـــي العنـــاء

طيـــــبُ القلـــــب عطـــــوفٌ مُشـــــفقٌ ... مُخبـــــتُ الـــــنفس يُحليـــــه النقـــــاء

وظريـــــفُ الـــــروح فـــــي أحوالـــــه ... ألمعـــــيُ الفهـــــم مُحتـــــدُ الزكـــــاء

****

أيـــــن مِنـــــي قلـــــبُ مَـــــن باعـــــت غـــــدي ... لغـــــريم مالُـــــه أودى بنـــــا؟!

اشـــــترى الحُســـــنَ بمـــــال وافـــــر ... باســـــطاً كـــــفَ غنـــــي بالهنـــــا

لـــــم أكـــــنْ وحـــــدي أقاســـــي جُـــــودَه ... إنمـــــا أنـــــتِ تجرّعـــــت العنـــــا

نحـــــن الاثنـــــان قتِلنـــــا غِيلـــــة ... وعلـــــى المَـــــولى جَـــــزا مَـــــن غالنـــــا!

****

يـــــا حبيبـــــاً يمنيـــــاً حُبـــــهُ ... كـــــان يجـــــري فـــــي شـــــرايين دمـــــي

لـــــك قـــــدمتُ أحاسيســـــي التـــــي ... جَمّلـــــتْ ذاتـــــي ، وزادتْ ألمـــــي

هـــــذه (صـــــنعاءُ) تبكـــــي مـــــا جـــــرى ... و(المُكَـــــلا) دمعُهـــــا كالـــــدِيَم

إن هـــــذا الأمـــــرَ لا نشـــــهدُه! ... لـــــيس فـــــي العُـــــرْب ، ولا فـــــي العجـــــم!

****

أعطنـــــي يـــــا حُـــــبَ قلبـــــي فرصـــــة ... عـــــلّ حظـــــاً طيبـــــاً يســـــعى إليـــــا

علنـــــي آتـــــي بمـــــال يـــــا حبيبـــــي ... ربمـــــا أصـــــبحتُ مِـــــن فقـــــر غنيـــــا

واعـــــذريني إن تجـــــاوزتُ المُنـــــى ... أو غـــــدا حُبـــــي خيـــــالاً نرجســـــيا

****

يـــــا حبيبـــــي لـــــم يشـــــأ رب الســـــماءْ ... أن نُـــــرى زوجـــــين مـــــن تحـــــت الخِبـــــاءْ

هـــــذه أطـــــلالُ حـــــب لـــــم يـــــدمْ ... وعليهـــــا يَغلـــــبُ العـــــينَ البكـــــاء

فاســـــعدي بـــــالعيش مـــــعْ زوج أتـــــى ... زارعـــــاً بـــــين الحبيبـــــين الجفـــــاء

لا تقـــــولي: حظنـــــا اخترنـــــاه ، لا! ... إنمـــــا ربُ الســـــما والأرض شـــــاء!

الأطلالُ اليمنية 2

(معارضة لقصيدة الأطلال للشاعر الفذ إبراهيم ناجي بك!)

(ليس للمتحابَيْن إلا الزواج! هكذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم -. وهذا الشاب اليمني صاحب التجارة ، وهو من (عُسيلان) وتحديداً من (تمنا) ، كان قد تزوج من المرأة التي أحبها وعشقها ، وهي من (بيحان) وتحديداً من (شبوة) ، كما أخبرني راوي القصة ، وأظنه من الصادقين! ورزقه الله منها بابن سماه: (عز الدين) وبابنة سماها: (دَهماء)! وفي إحدى رحلاته التجارية عاد التجارُ المرافقون بينما لم يعد صاحبُهم! ولم تعرف امرأته (البيحانية) عنه شيئاً! والتمستِ الأخبارَ هنا وهناك دون جدوى! وأصبح هذا الزوج مجهول المصير: فلا هو حيٌ فيُزار ويعود إلى أهله! ولا هو ميت فيُترحمُ عليه! وعاشت هذه الأسرة البائسة المنكوبة أطلالَ عائل غائب ، خلّفهم أطلالَ أجسام ، وخلّفوه أطلالَ روح! على أمل اللقاء به حياً أو ميتاً!)

يـــا فـــؤادي ذبـــتُ مـــن فـــرط الهـــوى! وإلـــــى المَجهـــــول مَحبـــــوبي أوى!

كيـــف فـــي (بيحـــانَ) قـــد عشـــنا ســـوا فـــي بُيـيـــتٍ كـــلَ مـــا نرجـــو حـــوى؟

لـــــم تُفرّقنـــــا ظـــــروفٌ أو قـــــوى! ولـــــذا لمّـــــا يُعـــــذبْنا النـــــوى

وإلـــــى (شَـــــبوةَ) أضـــــناني الجـــــوى أســـألُ النـــاسَ عـــن الـــزوج ثـــوى!

****

لســـــتُ أنســـــاهُ حَليلـــــي والصـــــديقْ وحبيبـــــاً كـــــان لـــــي مِثـــــلَ الشـــــقيقْ

وزفيـــــراً كـــــان مِـــــن بعـــــد الشـــــهيق حُبُـــــه فـــــي القلـــــب جَبـــــارٌ عَميـــــق

إنْ نـــــأى عنـــــي فقلبـــــي لا يُطيـــــق وفـــــؤادي دونـــــه مثـــــلُ الغريـــــق

وأرانـــــي مـــــن همـــــومي لا أفيـــــق ويَزيـــــدُ الخطـــــبَ فقـــــدانُ الرفيـــــق

****

وسِـــــني العُمْـــــر دارتْ كـــــالرحى كـــــل يـــــوم مَـــــرّ أهـــــدتْ تَرَحـــــا

وفـــــؤادي مِـــــن عـــــذابي جُرحـــــا وإلـــــى زوجـــــي خيـــــالي جَمحـــــا

هـــــل يعـــــودُ مـــــن غِيـــــاب فرحـــــا؟ عَـــــوْدُه يشـــــفي فـــــؤاداً ذبِحـــــا

إن قلبـــــي للشـــــكايا جَنحـــــا أيُ قلـــــب لشـــــكاتي فتِحـــــا؟

****

أيـــن مِـــن عينـــي حبيبـــي والهنـــاءْ؟ كـــم رَفعـــتُ رَاحتـــي كُلـــي رجـــاء!

ومعـــي (دَهمـــاءُ) نبكـــي فـــي الـــدعاء أن يـــرد الله مَـــن بالبُعـــد بـــاء

إن (عـــز الـــدين) أعيـــاهُ البكـــاء ربمـــا هـــذا البُكـــا غـــالَ القضـــاء!

فـــإذا بالغائـــب المفقـــود جـــاء لـــيس شـــيءٌ مُعجـــزاً ربَ الســـماء!

****

أيـــن منـــي الـــزوجُ مـــا عنـــهُ غِنـــى؟! هـــو للبيـــت عمـــادٌ وسَـــنا

إننـــا مـــن دونـــه ذقنـــا العنـــا مَسّـــنا الضـــر ، ونجتـــرّ العنـــا

ومِـــن الشـــوق التـــردي مَسّـــنا بنتُـــه (الـــدهماءُ) تُبكينـــي أنـــا

وابنـــه (العـــز) يهادينـــا المُنـــى مُشـــفقاً أن يُـــدرك اثنـــين الفنـــا

****

يـــا حبيبـــاً طيفـــه كـــالنغمِ إنْ يَـــزرْ يَمـــحُ عُتـــيَ الألـــمِ

تفتـــدي رؤيـــاك روحـــي ودمـــي يـــا لطيفـــاً ، يـــا جميـــلَ الشِـــيَم

إن ذكـــراك تُســـلي عشـــمي ولهـــا شـــوقي تخطـــى نهمـــي

والـــذي ســـواك جُـــدْ بـــالرُحُم وارحـــمِ الـــنفسَ ، وأبـــرئ قسَـــمي!

****

فـــي (عُسَـــيلانَ) أنـــاجي مُقلتيـــا والمُنـــى تخفِـــقُ فـــي (تمنـــا) لـــديا

وابنتـــي (الـــدهماءُ) كـــم نـــادت عليـــا وشـــرودي طـــال عقلـــي الألمعيـــا

صـــوتُ (عِـــز الـــدين) وافـــى مَســـمَعَيا وأنـــا أبكـــي ، ومَـــن يُصـــغي إليـــا؟

فـــارحمِ الأســـرة إن كنـــت حَفيـــا أم فـــؤادُ الحِـــب قـــد أمســـى خَلِيـــا؟

****

زارنـــا الأهلـــون ، جـــاؤوا للعَـــزا فشـــكرناهم ، وضـــاعفنا الجـــزا!

كـــم تأملنـــا اللقـــاءَ المـــوجزا! عنـــك مـــا قـــالوه أمســـى معجـــزا

كـــــل فـــــردٍ حُـــــبَ أهـــــلٍ أبـــــرزا ... رغـــم أن الـــبعض زوجـــي لمـــزا!

وكـــــذا بعـــــضٌ بـــــردٍ غمـــــزا ... هـــل هـــمُ أغنـــوْا عشـــيراً هَمَـــزا؟

****

عنـــدنا المـــالُ فهـــل هـــذا البـــدَلْ؟ ... نشـــتري مـــا نشـــتهي دون وجـــل!

هـــل بمـــال نشـــتري بعـــض الأمـــلْ؟ ... هـــل بمـــال نشـــتري أجـــدى الحِيَـــل؟

ليعـــود الحِـــبُ يحيـــا بالأهَـــل! ... بعـــد أن وافـــاهمُ قـــربُ الأجـــل!

لســـتُ أدري كيـــف أحيـــا؟ مـــا العمـــل؟ ... يـــا إلـــه النـــاس أدركْنـــا بحـــل!

****

قـــال (عـــز الـــدين) أينـــاهُ أبـــي؟ ... دونـــهُ العـــيشُ كمثـــل الغيهـــبَ!

صـــارحيني بـــالكلام الطيـــبِ ... واصـــدقيني ، والطفـــي يـــا أمُ بـــي!

هـــل سنقضـــي عُمرنـــا فـــي نصَـــب؟ ... كـــلُ طفـــل بـــين أم وأب!

وأنـــا والأخـــتُ فـــي وهـــم غبـــي ... أن يعـــود الأبُ يَقضـــي مَـــأربي!

****

أيهـــا الجيـــرانُ كونـــوا أهلنـــا ... واعـــذرونا فـــي بـــلاءٍ هالنـــا

واذكـــروا بـــالخير مَـــن كـــان لنـــا ... كـــل شـــيءٍ ، كـــان يَهـــدي بالنـــا

ويُســـلي بالهنـــا أحوالنـــا ... وهنـــا فـــي دار قـــومي عالنـــا

وغـــدتْ أموالـــه أموالنـــا ... وغـــدت أقوالـــه أقوالنـــا

****

يـــا حبيبـــي نُصْـــبَ عينـــيّ الغطـــاءْ ... وعلـــى المِشْـــجَب يُشـــجينا الـــرداءْ

وإزارُ العُمـــرة الشـــهبا كِســـاء ... وعلـــى الـــرف زجاجـــاتُ الـــدواء

وعلـــى المكتـــب مِســـباحٌ مُضـــاء ... وأمـــام البـــاب يُبكينـــا الحِـــذاء!

كـــــل آثـــــارك تســـــتجدي البكـــــاء ... مـــا كرهناهـــا لأنـــا فـــي ابـــتلاء!

****

نرقـــــبُ الأثـــــوابَ زانـــــت غرفتـــــكْ ... وبقايـــــا المســـــك تغـــــزو جُؤنتـــــكْ

وإلـــــى الشـــــباك تهفـــــو طلعتـــــك ... ولـــــدى البـــــاب نواســـــي غَيبتـــــك

وعلـــــى الكُرســـــيّ تبكـــــي غترتـــــك ... وطيـــــوفُ الشـــــوق فـــــي سِـــــجادتك

وعلـــــى السُـــــلّم ترنـــــو خطوتُـــــك ... ردك المَـــــولى تُســـــلي أســـــرتك

****

إن فـــــي (بيحـــــان) أطـــــلالاً قصـــــية ... وهنـــــا فـــــي (شـــــبْوَةٍ) خلـــــفَ الثنِيـــــة

عنـــــد أخـــــوال لنـــــا أهـــــل حَمِيـــــة ... كـــــم تـــــذاكرنا الخـــــلالَ الأريحيـــــة!

بُكـــــرة كـــــان التلاقـــــي أو عَشِـــــية ... لـــــم نكـــــن نـــــدري متـــــى تـــــأتي المنيـــــة!

ولنـــــا فـــــي الصـــــبح أذكـــــارٌ زكيـــــة ... وصـــــلاة الليـــــل بـــــالتقوى نقيـــــة

****

أيهـــــا الغائـــــبُ يرعـــــاك الإلـــــهْ ... إنْ تكـــــنْ مِـــــت دعونـــــا فـــــي الصـــــلاة

أن تـــــرى الأخـــــرى بـــــديلاً للحيـــــاة ... رحمـــــة المـــــولى ثـــــوابٌ للتقـــــاة

أو تكـــــنْ حيـــــاً ليرْجعْـــــك الإلـــــه ... وحـــــدهُ العـــــالمُ بالســـــر وراه

وحـــــده القـــــادر فلننشـــــدْ رضـــــاه! ... هـــــل لنـــــا فـــــي كربنـــــا ربٌ سِـــــواه؟!

****

أيهـــــا الغائـــــبُ بتنـــــا لا نـــــراكْ ... أنـــــا والطفـــــلان لا نبكـــــي ســـــواك

وعلـــــى جمـــــر الغضـــــى دون حِـــــراك ... نســـــهرُ الليـــــلَ يُناجينـــــا هـــــواك

يـــــا إلـــــهَ النـــــاس أســـــعدْ مَـــــن دعـــــاك ... لا تُخيّـــــبْ يـــــا إلهـــــي مَـــــن رجـــــاك

إن يكـــــنْ أدرك محبـــــوبي الهـــــلاك ... ربنـــــا ارحمْـــــهُ ، وألزمْنـــــا هـــــداك

****

أيهـــــا التائـــــهُ فـــــي الأرض الخـــــرابْ عُـــدْ إلينـــا مِـــن مَجاهيـــل الســـراب

لا تُطـــــلْ بُعـــــدك ، أضـــــنانا الغيـــــاب وطيـــــوفُ البُعـــــد تُـــــدْمي كـــــالحِراب

فـــــارحمِ الأســـــرة مِـــــن هـــــذا العـــــذاب لـــــم يُعوّضْـــــنا طعـــــامٌ أو شـــــراب

ربَنـــــــــا أذنْ لحبيبـــــــــي بالإيـــــــــاب رب ذلـــــلْ مـــــا يّقاســـــي مِـــــن صِـــــعاب

الأعمال بالخواتيم 3 - عروس تموت وهي ترقص

(يستحيي أهلها أن يكتبوا اسمها في كروت الدعوة! بينما لا يستحيون من رقصها أمام المعازيم! فباغتها الموت فماتت وهي ترقص ، وتُبعث إن شاء الله تعالى على ما ماتت عليه! هكذا قتامُ المعصية: خِزي الدنيا وعذابُ الآخرة! ناهيك عن الصيت السيييء! وفي الحديث "إنما الأعمال بالخواتيم"؟ ففي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، الأعمال بالخواتيم). وفي رواية للإمام أحمد في المسند صححها الأرناؤوط: (وإنما الأعمال بالخواتيم). والمراد بالأعمال: ما يعمله العبد من عمل صالح أو سيئ. والمراد بالخواتيم: ما يعمله في ختام عمره وآخر حياته. وقد حمله الباجي في شرح الموطأ على أن آخر عمل الإنسان أحق به ، وعليه يجازى ، ووجه ذلك: أن من انتقل من العمل السيئ إلى العمل الأحسن يعتبر تائبًا ، ومن انتقل من الإيمان إلى الكفر يعتبر مرتدًّا. ويمكن حمله كما قال ابن حجر على من يعمل العمل الصالح رياءً ونفاقًا ثم يُختم له بالشر ، ويدل لكلا الاحتمالين حديث البخاري: (إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة ، وإنه لمن أهل النار. ويعمل في ما يرى الناس عمل أهل النار ، وهو من أهل الجنة. وإنما الأعمال بخواتيمها). ويدل لما قال الباجي حديث أحمد في المسند: (لا عليكم أن لا تُعجَبوا بعمل أحد حتى تنظروا بم يُختم له ، فإن العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئًا. وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً. وإذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قبل موته. قالوا: يا رسول الله ، وكيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه). صححه الأرناؤوط والألباني. وأعود إلى المتن والتخريج والشرح لهذا الحديث مرة تفصيلية: (إنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ) لقد صح هذا الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ: (إنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ) ، وقد ثبت هذا الحديث عند الإمامين البخاري ومسلم - رحمهما الله - ولكن بألفاظ أخرى غير هذا اللفظ. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في صحيح البخاري: (فَوالَّذِي إنَّ أحَدَكُمْ - أوْ الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها غَيْرُ باعٍ أوْ ذِراعٍ ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُها ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها غَيْرُ ذِراعٍ أوْ ذِراعَيْنِ ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها). والمعنى العام لحديث (إنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ): أن العبرة في علاقة الإنسان مع ربه من جهة الإيمان والكفر محصورة في الحالة التي يموت عليها ، فإن مات على الكفر - والعياذ بالله - بُعث يوم القيامة كافراً ، ولو كان قبل الكفر مؤمناً ، إذ العبرة بخاتمة عمله في حياته ، وكذلك لو أنه مات على الإيمان بالله – تعالى - فإنه يبعث يوم القيامة مؤمناً ، ولو أمضى معظم حياته على الكفر ؛ إذ العبرة بالحال التي مات عليها الإنسان ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ علَى ما ماتَ عليه). ومن جهة أخرى ، فإن الحديث كذلك يشير إلى الحال الإيمانية والعمل الصالح عند المسلم ، فإن المؤمن يُبعث على الحالة الإيمانية التي مات عليها ، وعلى العمل الذي مات عليه ، فمن مات مؤمناً على حسن خاتمة وعمل صالح ، فإنه يُبعث عليه ، ومن مات على معصية وسوء خاتمة ، فإنه يُبعث عليها يوم القيامة. وقد دلّ على هذا مجموعة من الأحاديث الصحيحة ، ومن ذلك ما صح: (أنَّ رَجُلًا كانَ مع النبيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - ، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وهو مُحْرِمٌ ، فَمَاتَ ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ -

صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ -: اغْسِلُوهُ بمَاءٍ وسِدْرٍ ، وكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْهِ ، ولَا تَمَسُّوهُ بطِيبٍ ، ولَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ ، فإنَّه يُبْعَثُ يَومَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا). حيث إنّ هذا الرجل أسقطته دابته ، فكسرت عنقه فمات وهو محرم بالحج ، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يعاملوه معاملة المحرم الذي لا يجوز أن يغطى رأسه ، ولا يمس شيئاً من العطر والطيب ، وسبب ذلك أنه سيبعث يوم القيامة وهو محرم يلبي الله – تعالى - ويقول: لبيك اللهم لبيك ، فهذا يدل على أن العبرة بخاتمة عمل الإنسان من العمل. ومن الدروس المستفادة من حديث (إنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ) أن هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فهو يجمع فوائد كثيرة ، ومن هذه الفوائد ما يأتي: أولاً: محاسبة النفس والمداومة على الطاعة. وثانياً: دعوة الناس وحثّهم على مداومة الاستعداد للقاء الله – تعالى - على أحسن حال ؛ إذ الإنسان لا يعرف موعد أجله ، فمن اتّعظ من هذا الحديث بقي مستعداً للقاء الله – تعالى - وهو على حسن العمل والإيمان. وثالثاً: المسارعة للتوبة في هذا الحديث دعوة للناس إلى المسارعة بالتوبة وتجديدها مهما فعل الإنسان من المعاصي في حياته وأكثر منها ، فلا ييأس وليبادر إلى التوبة ، فإن العبرة بخاتمة عمل الإنسان. ورابعاً: فضل الله – تعالى - على عباده يدل الحديث على عظيم كرم الله – تعالى - مع الذين أسرفوا على أنفسهم ، ثم ماتوا على حسن خاتمة ، حيث يعاملهم الله بفضله على ما ماتوا عليه ويعفو عما سلف. وخامساً وأخيراً: تحذير المؤمن من الاغترار بعمله! ففي هذا الحديث تحذيرٌ صارمٌ للمؤمن من أن يغتر بعمله الصالح ويغفل فيقع بالمعاصي! حيث إن المرء لا يعلم موعد وفاته ، فيخاف المؤمن أن يموت وهو على معصية. فقد نص أهل العلم على أن هذا الحديث مسوق لبيان أن العبرة بالخاتمة التي يختم بها العمر ، فمن كانت خاتمته خيراً فهو من أهل الجنة ، ومن كانت خاتمته شراً ، فهو من أهل النار ، ثم إن كانت تلك الخاتمة مكفرة خلّد في النار ، وإن كانت معصية فقط ولم يتب منها ، فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه! لهذا كان صالحو هذه الأمة يخافون خوفاً شديداً من سوء الخاتمة ، ويسألون الله تعالى التثبيت عند الموت ، ويقولون : إن من أمن الخواتيم هلك ، ثم إن هذه الخواتيم ميراث السوابق ، فكم من عامل يعمل في ظاهره بما يتناقض مع ما في باطنه ، وكم من عامل يعمل عمل الخير في الظاهر ومن وراء ذلك دسيسة سوء تكون سبباً لسوء خاتمته والعياذ بالله تعالى ، وكم من عامل يعمل عمل الشر في الظاهر ، وفيه خصلة خفية حميدة يتداركه الله بسببها - برحمة منه وفضل - فيختم له بخير! وبالجملة ، فإن الانقلاب من الشر إلى الخير كثير ولله الحمد ، وأما الانقلاب من الخير إلى الشر فقليل! ذكر الإمام ابن كثير في البداية والنهاية (68/11) في حوادث سنة 278هـ فقال: (وفيها توفي عبده بن عبد الرحيم قبحه الله. ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم ، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدة من بلاد الروم ، إذ نظر إلى امرأةٍ من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها ، فراسلها قائلاً: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصر وتصعد إلي ، فأجابها إلى ذلك ، فما راع المسلمين إلا وهو عندها ، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غماً شديداً ، وشق عليهم مشقة عظيمة ، فلما كان بعد مدة مروا عليه ، وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون). وقد صار لي فيهم مال وولد).هـ. وثبت عن أنس بن النضر رضي الله عنه قال يوم أحد: (واهاً لريح الجنة إني لأجد ريحها من وراء

أحد). ونقلاً عن كتاب (قصص واقعية) للدكتور خالد الجبير (والكتاب تحت الطبع لدى دار السنة بالخبر) ولكن الدكتور خالدً حكى هذا في محاضرةٍ سمعتها ، يقول: حدث الدكتور خالد الجبير قائلاً: اتصل بي المستشفى ، وأخبروني عن حالةٍ خطيرةٍ تحت الإسعاف... فلما وصلت إذا بالشاب قد توفي رحمه الله...ولكن ما هي تفاصيل وفاته...فكل يوم يموت المئات بل الآلاف... ولكن كيف تكون وفاتهم؟!! وكيف خاتمتهم؟ أصيب هذا الشاب بطلقةٍ ناريةٍ عن طريق الخطأ فأسرع والداه - جزاهما الله خيراً - به إلى المستشفى العسكري بالرياض ، ولما كانا في الطريق التفت إليهما الشاب وتكلم معهما! ولكن! ماذا قال؟ هل كان يصرخ ويئن؟ أم كان يقول أسرعوا بي للمستشفى؟! أم كان يتسخط ويشكو؟! أم ماذا؟ يقول والداه كان يقول لهما لا تخافا! فإني ميت...واطمئنا...فإني أشم رائحة الجنة...ليس هذا فحسب ، بل كرر هذه الكلمات الإيمانية عند الأطباء في الإسعاف...حيث حاولوا وكرروا المحاولات لإسعافه...فكان يقول لهم: يا إخواني إني ميت لا تتعبوا أنفسكم...فإني أشم رائحة الجنة! وشاهد آخر من الدكتور الجبير عنون له بـ: (عاش هذا ومات الآخر) أو (عاش الشيخ ومات الشاب)!...يقول: (رغم أن موازين الطب والأسباب الدنيوية تقول غير هذا...فقد كان من المقرر إجراء عمليةٍ لشيخ كبير في السن قد اجتمعت فيه عدة أمراض...من ضغط وسكر وغيرها...إضافة إلى مرض القلب الذي يعاني منه...وكانت نسبة نجاح عمليته لا تتجاوز العشرين في المائة ، ولهذا فقد قررت أن تكون عمليته في يوم لوحده ، ولم أجعل معه موعداً آخر لخطورة العملية ودقتها...وفي نفس الوقت كان هناك شاب في العشرين من عمره...وعنده عملية بسيطة لا يتجاوز وقتها الساعة...وأما نسبة نجاحها فتزيد على التسعين في المائة فلهذا قلت في نفسي...عملية هذا الشاب بسيطة ، ولن تأخذ وقتاً طويلاً فجعلت موعده مع عملية الشيخ الكبير في نفس اليوم على سبيل الاستثناء! فماذا كانت النتيجة...والنهاية عاش الشيخ المريض ومات الشاب! فسبحان مصرف الأمور ومدبر الأحول فالموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً قال تعالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون).هـ. ومن هنا كتبتُ هذه القصيدة بعد استشراء عادةٍ قبيحة في الأعراس الجاهلية المعاصرة تعتبر هي الأقبح من نوعها ألا وهي رقص العروسين أو أحدهما في العرس أمام الناس ، والكاميرات والهواتف الذكية تصور وتنقل هنا وهناك! فعروسُ قصيدتنا غيرُ الموفقة كانت من هذا النوع! فقبضها الله وهي ترقص! وتُبعث بنص الحديث على ما ماتت عليه! نسأل الله العافية والسلامة! إن رقص العروس في يوم عرسها لم يأت من تقصير يوم وليلةٍ ، ولا من تفريط وإفراط عشيةٍ وضحاها ، بل هناك سنون مرت في لجج المعاصي ، ومنحدرات الموبقات ، وقيعان الجاهلية! ونسأل الله تعالى العافية والسلامة!)

خبـــرُ الفضـــيحة طـــارَ فـــي الآفـــاقِ ... بحقـــائق خرجـــتْ مـــن الأشـــداقِ

أن العـــروس علـــى المَـــلا رقصـــتْ بـــلا ... تقـــوى ولا خـــوفٍ مـــن الخـــلاق

والكـــل صـــوّرَ رقصَـــها وسُـــقوطها ... دون التـــزام مكـــارم الأخـــلاق

فـــي مَشـــهدٍ يُـــزري بهـــا وبأهلهـــا ... وبطيّـــب الأعـــراف والأعـــراق

لمّـــا تُشَـــرّفْ بـــالتردّي قومَهـــا! ... قـــادَ التـــردي القـــومَ للإخفـــاق

لـــم يرفعـــوا رأســـاً بفعـــل فتـــاتهم ... بـــل أطرقـــوا مـــن شـــدة الإزهـــاق

خجلـــوا ، وفـــي إحـــراجهم غرقـــوا ، ولـــم ... يتحمّلـــــوا مَرثيـــــة الإغـــــراق

هـــذي العـــروسُ تســـببتْ فـــي حـــرقهم! ... أيعـــود مجـــدٌ ضـــاع بـــالإحراق

أبـــئسْ بخاتمـــةٍ عـــذابٌ ذِكْرُهـــا ... والخُبْـــرُ طـــارَ بشـــاطن الآفـــاق

وقـــد اســـتحقتْ أن تكـــون مَعـــرّة ... واشـــؤمَ مـــا حـــازتْ مـــن اســـتحقاق!

أوَمـــا كفاهـــا مـــن مَعـــاص جَمّـــةٍ ... فـــي العُـــرس مـــا شُـــهدتْ علـــى الإطـــلاق؟!

زمْـــرٌ وطبْـــلٌ ، واخـــتلاط مُقـــرفٌ ... وحقيـــرُ تقبيـــل ، وطـــولُ عِنـــاق

وإذا بمكيـــــاج الصـــــبايا فتنـــــة ... تســـبي عيـــونَ المُغـــرم المشـــتاق

وإذا بأزيـــــاءٍ علـــــى مُوضـــــاتها ... وإذا بـــــأثواب لنصـــــف الســـــاق!

هانـــت ـ علـــى الأهلـــين ـ أعـــراضُ النســـا ... وغـــدا الجمـــالُ يُـــلاكُ بالأحـــداق

وحَلـــتْ لناظرهـــا لحـــومٌ كُشّـــفتْ ... أكلـــتْ بـــأعين جَوقـــةٍ ورفـــاق

وتـــرنحَ الإســـفافُ ، راجـــتْ سُـــوقهُ ... والهـــزلُ هـــاجَ بمَوجـــهِ الـــدفاق

والحفـــلُ أشـــعلتِ الكِعـــابُ ســـعيرَهُ ... والـــرقصُ كـــان مُقـــدّماً لصـــداق!

هـــل كـــان إلا مَطلعـــاً لقصـــيدةٍ ... ليُثيـــرَ شـــهوة أحقـــر الفسَـــاق؟!

والمـــوتُ خـــط نهايـــة لعروســـهم ... مـــا بعـــد هـــذا العُـــرس أي تلاقـــي

هـــم شَـــرّقوا دربـــاً ، وهـــذي غرّبـــتْ ... دربـــان بينهمـــا عظـــيمُ طِبـــاق

والكـــل فـــان طـــالَ أو قصُـــرَ المـــدى ... والحُكـــمُ حُكـــمُ مُقسّـــم الأرزاق

وخـــواتمُ الأعمـــال مَرهـــونٌ بهـــا ... أصـــحابُها ، وهـــي الرصـــيدُ البـــاقي

فـــالطفْ بنـــا يـــا رب إن حَـــلّ القضـــا ... يومـــاً ، وجـــاءتْ تقـــدماتُ فِـــراق

واحتـــارَ أهـــلُ الطـــب فـــي تطبيـــبهم ... والـــبعضُ يســـأل أيـــن أيـــن الراقـــي؟!

ربـــاهُ لطفـــك إن أتانـــا موتُنـــا ... وجُســـومُنا حُمِلـــتْ علـــى الأعنـــاق!

الأعمال بالخواتيم (عروس تموت وهي تُصلي)

(في يوم عُرسها ، وبعد أن وضعتْ زينتها لتكون بين صويحباتها بالمنظر البديع اللائق بالمناسبة ، هناك وسط النساء بعيداً عن أعين الرجال ، وأدركتها صلاة المغرب ، وأرادت أن تتوضأ ، وإذا فعلتْ فإن المكياج والزينة والمساحيق والكريمات سوف يزيلها الماء ، فأشارتْ عليها أمها أن تجمع المغرب مع العشاء فإنها ضرورة. فقالت البُنية المحبة للصلاة المؤثرة لطاعة ربها: لا ، ليست هذه ضرورة. واستمرت على ذلك ، وذهبت وتوضأت وأسبغت وضوءها على مكارهه غير مبالية بالمكياج وما شاكله ، قائلة بلسان الحال والمقال: وعَجلتُ إليك ربي لترضى! ولم تقدّم بين يدي الله ورسوله. وبينما هي ساجدة قبضتْ روحها فكانت خاتمتها سجوداً بين يدي الله! والله حسيبها ووكيلها ، ولا نزكّي على الله أحداً. والأصل أن يحافظ المسلم على الأذكار الصحيحة رجاء أن يموت على أحدها ، فتكون ميتته ميتة حسنة يحبها الله ويأجره عليها! حتى إذا قبض العبد وقد ذكر هذه الأذكار ، قبض على عمل صالح ، ومن أجل ذلك خلصت نيات المؤمنين وصدقت مع ربهم ، رجاء أن يقبضهم الله على نية حسنة! ومما يعين عليها الإكثار من الأعمال الصالحات ، فما أكثر عبدٌ من عمل صالح إلا وتوفاه الله - سبحانه وتعالى - على ذلك العمل. قال أهل العلم رحمهم الله: من صدق فراره إلى الله ، صدق قراره مع الله ، فمن صدقت توبته ورجوعه وإنابته إلى ربه ، صدق قراره ومسيره وهديه على صراط الله حتى يلقى الله – تبارك وتعالى – هذا الهم الذي أقض مضاجع المتقين من قبل ، وأرق الصالحين من عباد الله. وأورد ابن خلكان رحمه الله في وفيات الأعيان ، في ترجمة يوسف بن أيوب الحمداني ، أنه كان عبدًا صالحًا محبوبًا من الناس ، فبينما هو ذات يوم في درسه ، إذ قام رجل من الصالحين ظاهرًا ، يقال له ابن السقاء ، وكان يحفظ القرآن وعنده شيء من الفقه ، فقام ذلك الرجل يسأله مسائل يريد بها أن يسيء الأمر في حلقته ويشغب عليه وجموع الناس حوله ، فلما أكثر عليه قال يوسف بن أيوب لابن السقاء: اجلس فإني والله ، لأشم من كلامك رائحة الكفر ، وأظنك ستموت على غير مِلة الإسلام. فمضت أيام قدم فيها وفد من ملك الروم إلى الخليفة، فلما خرج الوفد عائدًا إلى القسطنطينية، تبعه ابن السقاء وذهب معه واستقر به الأمر في تلك المدينة ، فما لبث فيها أيامًا حتى تنصر – والعياذ بالله – وأعجبه ما عليه النصارى من دين ، وخرج من ملة الإسلام ، فبقي فيها وكان يحفظ القرآن ، ثم قدّر لرجل من أهل بغداد أن يذهب إلى تلك البلدة لتجارة له فوجده مريضًا على دكةٍ وفي يده مروحة يذب بها الذباب عن نفسه ، فقال له: يا ابن السقاء إني كنت أعهد أنك تحفظ القرآن فهل بقي من القرآن في صدرك شيء؟ قال: لا ، ولا آية ، إلا آية واحدة: "رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ". وأما صاحبة قصيدتنا العروس الساجدة ، فأنشدتُ أحييها وأكْبر فِعلها ومِيتتها.)

غـــدا الســـجودُ - علـــى القنـــوت - برهانـــا ... عســـاكِ جوزيـــتِ - بالإحســـان - إحســـانا

لا شـــئ كالصـــدق فـــي الإيمـــان يَعصـــمُنا ... مِـــن الركـــون - إلـــى الأهـــواء - أزمانـــا

ولليقـــين صـــدىً فـــي قلـــب صـــاحبه ... يَزيـــدُه - إن ســـباه الـــوهمُ - إيمانـــا

وللصـــمود – إذا حَـــلّ المِـــرا - أرجٌ ... يُهـــدي الفـــؤادَ قناعـــاتٍ ورُجحانـــا

صـــدقتِ ربـــكِ فـــي سِـــر وفـــي علـــن ... وبـــات موتـــك تأبينـــاً وإعلانـــا

إن التمسّـــك - بالإســـلام - مَنقبـــة ... أمســـتْ - علـــى قـــوّة الإيمـــان - عُنوانـــا

وأنـــتِّ خيـــرتِ بـــين الزينـــة احتفلـــتْ ... بهـــا المحاســـنُ ، بـــات الحســـنُ برهانـــا

وبـــين فـــرض صـــلاةٍ حـــان موعـــدُها ... وإن - فـــي تركهـــا - إثمـــاً وخســـرانا

ومـــا اكترثـــتِ بمـــا أمْلتـــه والـــدة ... وقـــد عـــدمتِ - علـــى التـــرجيح - أعوانـــا

وخضـــتِ حربـــاً ضروســـاً نارُهـــا اشـــتعلتْ ... والبـــأسُ يُخمِـــدُ - فـــي التنظيـــر - نيرانـــا

أدليـــتِ دلـــواً - مـــن الإقنـــاع - مُترعـــة ... إذ الأذانُ غـــزا - فـــي الحفـــل - آذانـــا

وللضـــــرورة أحكـــــامٌ تُحـــــدّدُها ... أدلـــــة شـــــملتْ شـــــرعاً وقرآنـــــا

فلـــيس مـــن مـــرض – كـــلا – ولا ســـفر ... ســـبحان مـــن جعـــل التـــرخيص حُســـبانا!

ولا حريـــــقٌ ، ولا شـــــغلٌ ، ولا مطـــــرٌ ... يـــا قومنـــا اصـــطحبوا - فـــي الحكـــم - ميزانـــا

أيـــن الضـــرورة؟ دُلـــوني لأدرسَـــها ... إن الدراســـة تـــؤتي القلـــبَ إيقانـــا

كـــي أطمـــئنَ لمَـــا تلقـــون مِـــن رُخـــصٍ ... وســـوف أذعِـــن – للنصـــوص - إذعانـــا

قلبـــي يتـــوقُ لفتـــوى أســـتنيرُ بهـــا ... فـــي مـــأزق يجعـــلُ الفـــؤادَ حَيرانـــا

وتســـتريحُ لهـــا نفســـي وعـــاطفتي ... ويُمعـــنُ العقـــلُ فيهـــا بعـــدُ إمعانـــا

يـــا أختُ أفحمـــتِهم ، وانصـــعتِ طيّعـــة ... لفـــرض ربـــكِ تصـــديقاً وشُـــكرانا

آثـــرتِ مرضـــاة رب النـــاس فـــي وضـــح ... تـــرجين مِـــن ربـــك الـــرحمن غفرانـــا

وكـــل مَـــن تـــؤثرُ الـــديانَ فـــائزة ... ومَـــن تطعـــه تنـــلْ عفـــواً ورضـــوانا

وفـــي الســـجود سَـــمَتْ بـــالنفس طاعتهـــا ... فأســـلمتْ روحَهـــا حُبـــاً وعِرفانـــا

تقبـــل الله منـــك الـــروحَ جُـــدتِ بهـــا ... جـــوداً نتيـــهُ بـــه فخـــراً وتحنانـــا

وســـوف نـــذكرُ ألفاظـــاً جهـــرتِ بهـــا ... تفـــوحُ عِطـــراً وتفصـــيلاً وتِبيانـــا

بنبـــرةٍ أفصـــحتْ عـــن حِـــرص مُؤمنـــةٍ ... علـــى الصـــلاة ، شـــدتْ شـــجواً وألحانـــا

قـــولي لمـــن تتـــركُ الصـــلاة عامـــدة ... وإن تُقِـــمْ بعضـــها تُقِمْـــه بهتانـــا

لـــم التهـــاونُ فـــي الصـــلاة مـــا شـــرعتْ ... إلا لتصـــــرفَ فحشـــــاءً وشـــــيطانا؟

إن الصـــلاة عِمـــادُ الـــدين إن صـــلحتْ ... لكـــان ســـائر مـــا نأتيـــه مُزدانـــا

ضـــحّيتِ يـــا أختُ بالمكيـــاج كُلفتـــه ... آلافُ ، لمّـــا يكـــنْ والله مَجانـــا!

وقبـــلُ ضـــحّيتِ بالفســـتان كيّتـــهُ ... تكســـرتْ مِـــن وَضـــوءٍ بـــلّ فســـتانا!

وأذهـــب المـــاءُ مـــا بالشـــعر مِـــن نســـق ... وكـــان - بالـــدهن والترجيـــل - وَسْـــنانا

علـــى المكـــاره أســـبغتِ الوضـــوءَ ، فلـــم ... يَفقـــدْ وُضـــوؤكِ - بالإســـباغ - أركانـــا

ثـــم افتتحـــتِ صـــلاة لا انتهـــاءَ لهـــا ... ويعلـــمُ الله مـــا العُقبـــى ومـــا كانـــا

والـــروحُ قـــد صـــعِدتْ بخيـــر خاتمـــةٍ ... وفارقـــتْ جســـداً - يبكـــي - وأكوانـــا

وتُبعثـــين علـــى مـــا مِـــت تكرمـــة ... مـــع الأماجـــد - عنـــد الله - جيرانـــا

واســـألْ عـــن الرُكّـــع الســـجودِ مَشـــهدُهم ... أمسَـــوْا بمـــا قـــدّموا شُـــمّاً وأعيانـــا

والكـــل يغـــبطهم علـــى مكـــانتهم ... لمّـــا غـــدت سِـــيرة الأبـــرار سُـــلوانا

يـــا أختُ عُرسـكِ فـــي الجنـــان أشـــرفُ مـــن ... عُـــرس تخيسُـــه - بـــالكرب - دنيانـــا

فمـــا الـــذي يُســـعد التقـــاة فـــي أمـــم ... يَعـــيشُ أغلبهـــا عِيـــراً وقطعانـــا؟!

تنـــازلوا عـــن عُـــرَى الإســـلام أجمعِهـــا ... فأصـــبحوا - فـــي الـــدنا - صُـــمّاً وعُميانـــا

والحكـــمُ أولهـــا ، ثـــم الصـــلاة غـــدتْ ... فـــي الـــنقض آخرهـــا ، ظلمـــاً وعُـــدوانا

عليـــكِ رحمـــة ربـــي مـــا النهـــارُ أتـــى ... وَجَـــنّ ليـــلٌ ، وبـــالإظلام وافانـــا

إلـــى اللقـــاء بجنـــاتِ المليـــك غـــداً! ... إنـــا احتســـبناكَ - عنـــد الله - مولانـــا

الضحية والجزار!

(إن الضحية طفل بوسنوي رضيع ، ذبحه الجزار الصربي مع رفاق له نصب عيني أبيه ، وأمروا الأب أن يأكل من لحم ولده المشوى فأبى فقتلوه! أي قسوة تلك؟ وأي وحشية تلك؟ وهل فعل المسلمون هذا يوماً بأعدائهم؟ كيف ونبيهم يأمرهم أن لا يقتلوا الشيخ أو الطفل أو المرأة ولا يقتلعوا الشجر ولا يردموا الآبار؟)

لفظـــــــتَ الحيـــــــاة وأنغامهـــــــا ... وكنـــــــتَ تُهنـــــــئ أحلامَهـــــــا

وكنـــــت – مـــــن العـــــيش – فـــــي ســـــعةٍ ... تحـــــب الـــــديار وأيامهـــــا

وتهـــــوى الأمـــــان ، وتحمـــــي الحمـــــى ... ودارك تنســـــــــج آلامهـــــــا

تـــــــردى الكِـــــرامُ علـــــى أرضـــــها ... ورام الأراذلُ إقحامهـــــــــــــــــا

وكانـــــت ديـــــارك مثـــــل الســـــنا ... تبـــــث القصـــــيدة أنغامهـــــا

وتهـــــدي جنـــــى الشـــــعر مـــــن زارهـــــا ... وتهـــــدي القريحـــــة إلهامهـــــا

فلمـــــا تناســـــت هـــــدى ربهـــــا ... وراحـــــت تعطـــــل إســـــلامها

أتاهـــــا مـــــن الله مقـــــدورها ... وأرســـــلت الصـــــربُ أصـــــنامها

فـــــإن العقـــــاب بـــــذنب الـــــورى ... وبـــــالتوب تـــــرزق إكرامهـــــا

إلـــــى أن أتـــــاك العـــــذاب الـــــذي ... يـــــذيق الخلائـــــق آثامهـــــا

وطفلـــــك فـــــي النـــــار كـــــان الفـــــدا ... ودارك تكـــــرم مـــــن ســـــامها

يريـــــد الكـــــلاب الـــــذي لـــــم يكـــــن ... لترضـــــيَ – بـــــالظلم - حُكامهـــــا

أشـــــيخٌ يشُـــــم دخـــــان ابنـــــه؟ ... مَعـــــاذ الســـــجايا ومـــــن رامهـــــا

كـــــذاك هنـــــاك الضـــــحايا التـــــي ... ستشـــــكو البلايـــــا وإجرامهـــــا

أتسْـــــبَى النســـــاء بعصـــــر الفضـــــا؟ ... ودُورٌ تبـــــــــارك إعلامهـــــــا

علـــــى أنـــــه ناقـــــلٌ صـــــورة ... تـــــذيب القلـــــوب وإقـــــدامها

العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)

(كتب الشاعر العبقري عبد الناصر عليوي العبيدي نصه الرائع: (العشق المهلك) ، فلما طالعتُه للمرة الأولى تولد عندي مطلعٌ يُحاكي نصه! فعزمتُ على إكمال المُحاكاة حُباً في العبيدي وبُغضاً في منهج العشق المهلك! فكانت هذه القصيدة ترجمة له! يقول مطلع العبيدي:-

الـــذئبُ يأكـــلُ كـــل يـــوم نعجـــة ... وبعدلـــــه تتـــــبجح الأغنـــــامُ!

قالـــت: مُخلصُـــنا ، وحـــامي أرضـــنا ... وبـــــه غـــداً تتحقـــقُ الأحـــلام!

ويستمر (العبيدي) في وصف العشق المهلك مبيناً كيف عشقتِ الأغنام الذئب الذي استفحل خطره ، ودعا صحبه ورفاقه ليأكلوا معه ، إلى أن يختم (العبيدي) بالتنديد بالرعاة الذين سلموا أغنامهم طائعين للذئاب ، محملاً إياهم المسؤولية الأخلاقية والأدبية ، فيسجل في رمزية نادرة اعتراف الجميع ـ موضحاً أبعاد المؤامرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ بقوله:-

فجميعُنـــا ضـــد النعـــاج حقيقـــة ... وعـــــدوُّنا وعـــــدوُّك الإســـــلامُ

أيُـــلامُ ذئـــبٌ بـــالغريزة حاقـــدٌ؟! ... أم إن شـــذاذ الخِـــراف تُـــلام؟!

فنسَجتُ على مِنوال العبيدي هذه القصيدة في محاكاته! وأعلم علم اليقين أنني لم أبلغ شأو (العبيدي) في الشعر ، ولكن يبقى لي شرفُ المحاولة الذي أدندنُ حوله في كل مرة أحاكي فيها فحولَ الشعراء! وعسى اللهُ تعالى أن يكتب الأجر لي وللعبيدي على ما نكتبه من الشعر نسقطه على واقعنا الكسير ، علنا نساهم في إصلاح مُعوجه! فالدال على الخير كفاعله!)

الـــــذئبُ شَـــــدَّتْ أزرَه الأغنـــــامُ ... وظهيرُهـــا – فـــي الشـــدِّ – الاستســـلامُ!

منحَتْـــه عـــن عَمـــدٍ زمـــامَ قِيادهـــا ... وكأنـــــه المُتصـــــرفُ القـــــوَّام!

إن شـــاء فلـــيَطعمْ ويَعـــزمْ صـــحبَه ... إذ إن أفـــــراد القطيـــــع كِـــــرام

أو شـــاء بـــاعَ مـــن القطيـــع أو اشـــترى ... وفـــق الهـــوى ، مـــا فـــي البيـــوع سَـــوام

أو شـــاء ذبَّـــحَ ، والمُـــدى مَشـــحوذة ... ويُعينـــــه الجـــــزارُ واللحـــــام

أو شـــاء جَـــوَّعَ ، والقطيـــعُ مُرَحِّـــبٌ ... يُزجـــي المـــدائحَ منـــذ غـــابَ طعـــام!

أو شـــاء عطـــشَ رغـــم وفـــرة مائـــه ... فالشـــربُ ـ يـــا غـــنم القطيـــع ـ حـــرام

أو شـــاء فليقصـــفْ حظـــائرَ أسِّســـتْ ... لتعـــيشَ داخـــل سُـــورها الأغنـــام

أو شـــاء هجَّرَهـــا ، وحـــاز ربوعَهـــا ... مـــن بعـــد أن أفتـــى لـــه (الحاخـــام)!

أو شـــاء شـــرَّدَ بعضَـــها متغلبـــاً ... وســـلاحُه التقتيـــلُ والإرغـــام!

أو شـــاء ســـربلها بأشـــرس قيـــدِه ... ولـــه - علـــى تقييـــدها - إجـــرام

هـــذي مبادئـــه ، وذلـــك شـــأنه ... فعليـــه – مـــن رب الأنـــام – الســـام!

هـــو لا يـــرى غيـــرَ الـــذئاب خلائقـــاً ... فلتســـقطِ الأهـــدافُ والآضـــام!

وإلـــى هنـــا فالـــذئبُ لـــيس يَعيبُـــه ... مـــا قـــد رأى أبـــداً ، فـــلا اســـتذمام!

لكنمـــا الأغنـــامُ تعشـــقُ ذئبَهـــا ... كيـــف استســـاغتْ؟ بـــئسَ الاســـتفهام؟!

هـــل أصـــبحتْ (ليلـــى) وذئـــبٌ (قيسُـــها)؟! ... هـــل بـــين (ليلـــى) والوحـــوش غـــرام؟!

تعســـاً لعشـــق لا يُسَـــلي أهلـــه ... بـــين الأنـــام ، وخـــابَ بعـــدُ هُيـــام!

يـــا هـــذه الأغنـــامُ عِشـــقكِ مُهلـــكٌ ... أفـــلا يصـــدُّكِ عـــن هـــواكِ حِمـــام؟!

عِشـــقُ الـــذئاب إهانـــة ومَذلـــة ... وفضـــيحة يهـــذي بهـــا اللـــوام!

أزرى بـــكِ العِشـــقُ الرذيـــلُ ، فـــأقلعي ... عمـــا يَشـــينكِ ، عابـــكِ الآنـــام

كيـــف ارتأيـــتِ الـــذئبَ ألطـــفَ عاشـــق ... وهـــو الكفـــورُ تحوطـــه الآثـــام؟!

أوَمـــا قـــرأتِ علـــى المَـــدى تاريخـــه ... إذ خطـــه بمِـــداده النهـــام؟!

ذئـــبٌ إلـــى ســـفكِ الـــدما مُـــتعطشٌ ... جَـــمُّ المفاســـد ، واســـمُه (بَلعـــام)!

ويـــرى حميـــراً دونـــه كـــل الـــورى! ... ذئـــبٌ تُشـــكلُ عقلـــه الأوهـــام

ويشـــيعُ فـــي الأرض الفســـادَ بـــلا حيـــا ... وعـــدوُّه - فـــي ذي الـــدنا - الإســـلام

ولـــه جـــرائمُ لا ســـبيلَ لعـــدِّها ... مهمـــا رصـــدتُ تخـــونني الأرقـــام!

ولـــه هـــزائمُ أزهقـــتْ ثرواتـــه ... شـــهدتْ بهـــا الأصـــقاعُ والآكـــام

ورفاقـــه لـــم يفقهـــوا كبواتـــه ... وكـــأنهم - فـــي دعمـــه - أصـــنام!

يـــا هـــذه الغـــنمُ الـــذئابُ تجمهـــرتْ ... لـــو كـــان ذئـــبٌ لـــم تـــذلَّ الهـــام

بـــدأتْ بـــذئب ، ثـــم نـــادى قومـــه ... فتكتلـــوا ، واستأســـدَ الأقـــوام!

وأتـــوا علـــى الأغنـــام دون هـــوادة ... حمـــل اللـــواء جـــوارحٌ ورُهـــام

بـــدأوا براعيهـــا وقائـــد جمعهـــا ... لمَّـــا يَعُـــدْ راع ولا غنـــام!

والـــــدورُ آتٍ كـــــل مـــــن خنعـــــوا لـــــه ... وعقابَـــــــــه ســـــــــيناله الظـــــــــلّام

فخـــــذي بنصـــــح (ابـــــن العبيـــــديِّ) الـــــذي ... أزرى بعِشـــــــقكِ ، والقصـــــــيدُ سِـــــــهام

ورأيـــــتُ (عبـــــدَ الناصـــــر) اختصـــــرَ المـــــدى ... والـــــــنص يُنبـــــــيءُ أنـــــــه مقـــــــدام!

هـــــو شـــــخصَ الـــــداءَ الـــــذي أودى بنـــــا ... وكـــــــأن فـــــــي طياتـــــــه الجرســـــــام

ومحـــــــذراً سُـــــــمرَ النعـــــــاج مبينـــــــاً ... خطـــــرَ الـــــذئاب ، فمـــــا عليـــــه مـــــلام!

وكلامـــــه فصـــــلٌ لمـــــن يُصـــــغي لـــــه ... فعســـــى يفيـــــدُ الغـــــافلين كـــــلام!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

شدت أزره: أي قوت من عزمه. القوام: أي القائم على أمرها المتولي قيادها. سوام: أي مساومة في عمليتي البيع والشراء! المُدى: جمع مُدية وهي المطواة أو السكين في أيدي الشطار! اللحام: بائع اللحم. السام: اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى. استذمام: تعيير أو تعييب. الآضام: الآمال والطموحات. هُيام: شدة الحب والتعلق. حِمام: موتٌ وهلاك. الآنام: الخلائق. النهام: الراهب الذي يكتب ويؤرخ. بلعام: هو بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل ، وفيه نزلت آية سورة الأعراف: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها). الآكام: الصخور. كبواته: عثراته ومزالقه. الهام: جمع هامة وهي الرأس. رُهام: هي جوارح الطير كالصقر والنسر والباز والشاهين. خنعوا: أي رضخوا. ابن العبيدي: هو شاعرنا الكبير عبد الناصر عليوي العبيدي ، وهو شاعر غني عن التعريف ، وقد عارضناه من قبل في قصيدتنا: (رد سادة القبائل على اليمامة) ، ولا يخفى أن الأستاذ عبد الناصر له قدم طولى علينا ، في تقديمنا وأشعارنا للناس وللجمهور ، ونقول هذا معترفين بفضله. الجرسام: أي السم الزعاف.

المرثية السليمانية (في رثاء والدي)

(إنه في عصر يوم الجمعة 2015/3/13مـ نبئت برحيل والدي علي سليمان – رحمه الله – عن عمر يناهز الثامنة والثمانين من السنوات ، قضاهن الوالد في جد الحياة وكدّها. وكان خبراً عاتيَ الوقع على سمعي ، ليس لاستبعاد أن يموت الوالد – رحمه الله - ، ولكن لأنني لا أستطيع تغسله ولا تكفينه ولا تشييعه. وذلك لظروف تجديد الإقامة ، وإذن فجواز السفر غير موجود! وعليه فقد تعين علي أن أغرّد في هذه المناسبة الأليمة (مُصيبة الموت) خارج السرب. فبكيته وحدي وحزنتُ عليه وحدي ، وها أنذا أشيّعه بشعري وحدي. وكانت هذه المرثية الخمسينية السليمانية ترجمة لمَا أحسست به بعد رحيل الوالد – رحمة الله عليه -. وبعد قليل من الوقت وجدتني أمسك بقلمي وأكتب مطلع هذه القصيدة الرثائية ثم انهمرت الأبيات كالسيل مستصحبة الذكريات الجميلة التي عشتها مع الوالد عبر عقدين ونصف تقريباً بين مدّ الحياة وجزرها ، حلوها ومرّها ، وكم اختلفنا! وكم اتفقنا! وبقي مقام البنوة كما هو ومقام الأبوة كما هو ، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس! وأشهد الله يا أبي أنني سامحتك إلى الأبد ابتغاء وجه الله!)

أبـــي رحيلـــك أشـــجانٌ أعانيهـــا ... وذكريـــاتٌ تـــوْز الـــنفسَ ، تُشـــقِيها

وبـــالفؤاد جـــوىً ، فاضـــت مَرارتـــه ... والـــروحُ تجتـــرّ حزنـــاً عالقـــاً فيهـــا

مِـــن أيـــن أبـــدأ يـــا أبتـــاه تعزيتـــي ... والـــنفس تحتـــاجُ – عفـــواً – مَـــن يُعزيهـــا؟

رحلـــت عنـــي ، وللفـــراق صَـــولته ... فـــي غربـــةٍ وَأدتْ عزمـــي عوادِيهـــا!

مـــا اخترتهـــا قِبلـــة ، ولا ســـعيتُ لهـــا ... ولـــم أكـــن - بأصـــيل الشـــعر - أطريهـــا

ولا تفيـــأتُ ظِـــلاً أغدقتـــه علـــى ... مَـــن ألـــه القـــوتَ والـــدينار تأليهـــا

بـــل امتثلـــتُ وصـــاياك التـــي ارتســـمتْ ... والقلـــبُ أمســـى – مـــدي الأيـــام - يُمضـــيها

مِشـــوارُ عمْـــر ، وآمـــالٌ وتجربـــة ... وهمّـــة تنثنـــي - مِـــن فخرهـــا - تِيهـــا

وقصـــة نســـجتْ - بالمجـــد - حَبْكتُهـــا ... وكـــل شـــهم مِـــن الأبنـــا ســـيرويها

طفـــولتي أنـــت حاديهـــا ومُرشـــدها ... وأنـــت - فـــي لجـــج الأمـــواج - حاميهـــا

فكـــم حنـــوت - علـــى الطفولـــة - ابتليـــتْ ... بالمُعضـــلات – بـــلا رفـــق – تعانيهـــا!

وكـــم حرصـــت علـــى إحســـان تربيتـــي ... حتـــى تنقيَهـــا ممـــا يُدَسّـــيها!

وكنـــت خيـــر أب يـــؤوي رعيتـــه ... وبالـــدماء زكـــتْ والـــروح يفـــديها

وشـــدت صـــرحاً مـــن الإبـــاء ألمسُـــه ... يزيـــدني - فـــي الـــورى - عِـــزاً وتنزيهـــا

وعِشـــت عَفـــاً ، فلـــم تـــرض الدنيّـــة فـــي ... كســـب المعيشـــة حاضـــرها وماضـــيها

وكـــم نشـــدت لنـــا مُســـتقبلاً غـــرداً ... وعِيشـــــة تحتفـــــي بمُســـــتزيديها!

وكـــم تألمـــت إمّـــا مسّـــنا ضـــررٌ! ... وللمصـــــائب أيـــــامٌ نقضـــــيها

وكـــم تـــأثرت تبكـــي مـــا يحيـــقُ بنـــا! ... وللبليّـــــات إن شـــــطتْ بواكيهـــــا

أبـــي علِمتـــك تختـــارُ الصـــديق ، فـــلا ... تصـــاحبُ العِيـــرَ ، أو تـــؤوي المَعاتيهـــا

وتحفـــظ العهـــدَ إن عاهـــدت مُحتســـباً ... وللعهـــــود رجـــــالاتٌ توفيهـــــا

وكـــم رعيـــت حقـــوق الجيـــرة اشـــترعتْ! ... ومـــا الحقـــوقُ إذا اســـتغنى مؤديهـــا؟!

وكـــم صـــدقت بـــأقوال تبـــوحُ بهـــا! ... إن الحقـــائق تعْلـــي شـــأن أهليهـــا

وكـــم شـــقيت لنحيـــا فـــي بُلهنيـــةٍ! ... أقـــولُ ذلـــك تصـــريحاً وتنويهـــا

وكـــم تحمّلـــت فقـــراً مُـــدْقِعاً شرســـاً ... وذبـــت - فـــي ثقـــل البأســـاء - تفريهـــا!

واحتلـــت للعـــيش فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... ولـــم تبـــينْ لنـــا الغايـــات تخفيهـــا

وجِـــرتُ فـــي نفحـــات النصـــح تبـــذلها ... حتـــى رآنـــي البرايـــا مِـــن محبيهـــا

واحتـــرتُ فـــي حكمـــةٍ مازلـــت تنشـــرُها ... حتـــى طـــواك - بســـيف المـــوت - مؤتيهـــا

وصـــرت عشـــراً مـــن الأعـــوام مُحـــتملاً ... مَـــرارة السُـــقم ، إذ فاضـــت دواعيهـــا

مـــا ضـــقت ذرعـــاً بمـــا تلقـــاه مِـــن ألـــم ... بـــل اصـــطبرْت - علـــى البلـــوى - تعانيهـــا

واشـــتدّ نزعُـــك ، والأمـــراضُ مـــا رحمـــتْ ... مَطـــاعنَ الشـــيب ، إذ عنـــتْ دواهيهـــا

وحولـــك الكـــل ، لكـــنْ قـــلّ ناصـــحُهم ... ومـــا الرعيـــة إن ضـــاقت براعيهـــا؟!

لـــم يكفلـــوك كمـــا أبنـــاءَهم كفلـــوا ... ولـــم يئنـــوا لآهـــاتٍ تقاســـيها

لـــم يرحمـــوا الضـــعفَ قـــد ذل العزيـــز لـــه ... وقصـــة ســـنواتُ العمـــر تحكيهـــا

لـــم يعـــذروا الشـــيخ هـــدّ الشـــيبُ قوّتـــه ... فـــي حالـــةٍ تجتنـــي إحســـاسَ رائيهـــا

لم يقدُروا قدْر من ولّتْ شبيبته   وعاجلته ظروفٌ كان يَدريها

لم يُكرموك ، فقد زاغت بصائرُهم   والكأسُ دائرة ، والدهرُ ساقيها

أبي خبَرْتك قد أنشأت تجربتي   وجُدت بالفضل - مجهوداً - تزكّيها

علمتني الجدّ في الأمور أغلبها   مَزيّة عِشتَ - في قلبي - تنميها

لقنتني الحزمَ - في الحياة - دون هوى   وللمناقب كم وجّهت توجيهها!

عشنا صَديقين - بين الناس - تجمعُنا   محبة - بيننا - سَمَتْ معانيها

كم اختلفنا ، فلم تثمرْ مناقشة!   إذِ اختفتْ في زواياها مراميها

ما نفعُ ألفِ نقاش دونما هدفٍ   إذ يُصبحُ القولُ تلبيساً وتمويها؟

كم اتفقنا على الآمال ننشدها   قبل الوسائل نمضيها وننويها!

في عيشةٍ أصبحتْ - كالبحر - جامحة   فالجَزرُ يكبتها ، والمَدّ يُطغيها

وأنت - في إحن الأهوال - قائدها   وأنت - بالصبر والتصبير - راعيها

واليوم ترحلُ عن أهل وعن وطن   وزوجةٍ كنت - في البلوى - تُسليها

وقد عجزتُ - عن التوديع - مُعتذراً   ودمعتي - في لظى المأساة - أذريها

مؤبّناً والدي في غربةٍ قهرتْ   إرادة لم تكن يوماً تداجيها

مُشيعاً رجلاً كم عشتُ أكْبرُه!   مُسترجعاً ذكرياتٍ غاب شاديها

عليك من ربك الرحمن رحمته   ما أشرقت - في الدنا - شمسٌ تُغشيها

المرثية السماحية (في رثاء والدتي)

(في يوم الأحد 2015/3/15مـ أخبرت برحيل الوالدة الغالية كوكب أحمد السعيد محمد سماحة عن عمر يناهز السبعين عاماً من الكفاح ، في حياةٍ حُفت بالمكاره والصعاب والمشاق. فكانت نِعم الزوجة لأب كابد مشاق الحياة مثلها. وكانت نعم الأم الحنونة ، المُحِبة لأبنائها ، الناصحة لهم. وكنتُ نويت أن أسافر إليها لأعزيها في والدي الذي قضى قبلها بيوم واحد ، فلقد توفي يوم الجمعة 2015/3/13مـ. ولكنني لم أستطع لظروف ومقادير يعلمها الله تعالى! وكان حدثاً فوق الاحتمال والتصبر لولا معونة الله وتوفيقه! فتلققتُ يراعتي ورُحتُ أسترجع شريط ذكرياتي مع أمي ، وعبر الدموع والنحيب والأشجان تولد المطلع الذي تلته الأبيات سراعاً إلى أن أتممتُ البيت الخمسين! وعندما يخلو ديوان الشاعر من رثاء أبيه وأمه الذين ماتا في حياته فمن كان أولى برثائه وبكائه ودموعه؟ ألا وإنني أعتبر الشاعر الذي لا يرثي أباه وأمه وقد ماتا في حياته عاقاً لهما وحسابي على الله! إذ من البر بهما الإحسان إليهما ، وبر صديقهما ، وإنفاذ وعدهما ، وإنجاز عهدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، والتصدق عنهما ، والحج والعمرة عنهما ، وسداد دينهما ، والدعاء لهما ، وذكر مناقبهما ليتأسى الناس بها ، والاستغفار الدائم لهما! هذا كله يفعله كل الناس! والشاعر واحدٌ من الناس ويزيد على ذلك كله رثاؤهما شعراً فإنه من باب الإحسان إليهما!)

خبَـــرٌ أراه - مِـــن البليـــة - أكبـــرا ... والـــدمعُ – فـــوق الخـــدّ – منـــه تحَـــدَّرا

والقلـــبُ أدركـــه الخشـــوعُ ، ورَدَّه ... للحـــق حتـــى يســـتكين ، ويصـــبرا

والـــنفس لاكـــت مـــا تُصـــارعُ مِـــن أســـىً ... والخـــاطرُ المُلتـــاعُ قـــد طـــرح المِـــرا

واســـتيقن العقـــلُ الأمـــورَ ، ولـــم يكـــنْ ... فيمـــا يُعـــاينُ ذاهـــلاً مُتحيّـــرا

والـــروحُ للمقـــدور – بعـــدُ - استســـلمتْ ... واللهُ ألهمهـــا بـــأن تســـتغفرا

أرواحُنـــا هـــذي ودائـــعُ عنـــدنا ... ونردّهـــا يومـــاً لمـــن هـــو قـــد بـــرا

كانـــت - مـــدى الأيـــام - سِـــر حياتنـــا ... وإذا تفـــارق يلحـــقُ المـــوتُ الـــورى

كتـــبَ المليـــكُ - علـــى الخلائـــق - مـــوتهم ... وبـــه يبيـــد اللهُ مَـــن كـــان افتـــرى

جَـــل المهـــيمن ، لـــيس يبقـــى غيـــرُه ... خـــاب الـــذي فيمـــا أقـــول بـــه امتـــرى!

أمّـــاه فارقـــتِ الحيـــاة رضـــيّة ... لمّـــا انتهـــى الأجـــلُ الـــرقيمُ ، وأدبـــرا

أســـلمتِ روحَـــكِ للـــذي رفـــع الســـما ... والنـــاسُ بـــاتوا - فـــي عزائـــكِ - حُضـــرا

ونطقـــتِ فـــيهم بالشـــهادة جهـــرة ... والكـــل أكبـــرَ مـــا أتيـــتِ ، وكَبّـــرا

ومِـــن المنيّـــة مـــا جزعـــتِ لحيظـــة ... والوجـــهُ مثـــل الصـــبح ، إمّـــا أســـفرا

وعلـــتْ جبينـــكِ - فـــي المُصـــاب - ســـكينة ... كانـــت أجـــلّ - مِـــن الصـــفاء - وأطهـــرا

وبكـــى الحضـــورُ علـــى الكريمـــة ودّعـــتْ ... والـــدمعُ - فـــوق خـــدود مـــن فجعـــوا - جـــرى

وأنـــا انتحبـــتُ ، وهزنـــي ألـــمُ الجَـــوى ... ورجعـــتُ - مِـــن وخـــز العـــذاب - القهقـــرى

والقلـــبُ حولـــق ، ثـــم حوقـــل راضـــياً ... والـــنفسُ أرســـلتِ البكـــاءَ مُقتطـــرا

مـــا أنـــتِ يـــا أمـــاه أول مَـــن قضـــتْ ... مِـــن بعـــد أن يفعـــتْ ، وشـــبّت مُعصِـــرا

وأراك لســـتِ كـــذاك آخـــرَ مَـــن قضـــتْ ... فـــالموتُ يُحصـــي المـــرءَ مهمـــا عُمّـــرا!

أمّـــاه آذتـــكِ الـــدغاولُ جَمّـــة ... والعائـــداتُ الهُـــوجُ أذهبـــتِ الكـــرى

وجراحَـــة تـــأتي ، وأخـــرى تنقضـــي ... وغـــدا الـــبلاءُ – عليـــكِ - ســـيفاً مُشْـــهرا

والجســـمُ يجتـــرّ العـــذابَ مُتلـــتلاً ... وسِـــنيُّ عمـــركِ تســـتخفّ بمـــا تـــرى

والطـــب أمســـى - مِـــن سِـــقامكِ - نافضـــاً ... كفـــيْ حُنـــين ، والعـــلاجُ تعـــذرا

أجـــرٌ وعافيـــة وعاجـــلُ مِحنـــةٍ ... تمحـــو الـــذنوبَ أتيتِهـــا والمُنكـــرا

فـــإذا التـــي كانـــت تـــروحُ وتغتـــدي ... وتجـــوبُ - ســـيراً - كـــلّ أصـــقاع القـــرى

وإذا التـــي كانـــت تبيـــعُ وتشـــتري ... وتصـــارعُ الـــدنيا كآســـاد الشَـــرى

وإذا التـــي لـــم تشْـــكُ أدنـــى عِلـــةٍ ... يومـــاً ، ولا مرضـــاً تأصّـــل واعتـــرى

وإذا التـــي لـــم تشْـــكُ وعيـــاً غائبـــاً ... كـــلا ، ولا خرَفـــاً يُلقِنهـــا الهُـــرا

وإذا التـــي كانـــت تصَـــبّر غيرَهـــا ... وتســـاعدُ الهلكـــى ، وتعطـــي القُصّـــرا

وإذا التـــي كانـــت تشـــجّع قومَهـــا ... حتـــى تـــراهم - بالمبـــادئ - فـــي الـــذرى

أمســـتْ علـــى الكُرســـيّ يقهرُهـــا الأســـى ... وشـــبابُها الوســـنانُ عنهـــا أدبـــرا

ومضـــتْ كـــذلك قـــوّة وفتـــوّة ... والضـــعفُ - عـــن ســـاق الكُهولـــة - شـــمّرا

وأنـــا بعيـــدٌ عنـــكِ لـــيس برغبتـــي ... واللهُ يشـــهد ، لا جـــدالَ ولا مِـــرا

وتُركْـــتِ - عنـــد الخـــاذلين - وديعـــة ... مِـــن كـــل مُنـــتكس يُبـــاعُ ويُشـــترى!

تعـــسَ الـــذي مـــن أجـــل زوجتـــه يعـــ ... ـــنفُ أمّـــه ، أولـــى بـــه أن يُـــزدرى

والكـــأسُ دائـــرة ، سيشـــربُها غـــداً ... وانظـــرْ لغيـــرك مـــا أتـــاه ومـــا جـــرى

أمـــاه لـــم تتحملـــي أعتـــى الـــبَلا ... أعنـــى رحيـــل أب غـــدا تحـــت الثـــرى

أقنعـــتِ نفسَـــكِ أن قلبـــكِ ثابـــتٌ ... والـــنفسُ تقبـــل مـــا المهـــيمنُ قـــدّرا

حتـــى لحقـــتِ بـــه بـــدون تـــردّدٍ ... أنـــى لمثلـــك - بعـــده - أن تصـــبرا!

أكملتمـــا مِشـــوارَ عـــيش لاعـــج ... فغـــدا ببـــذلكما أجـــلّ وأنضـــرا

وتفيـــأ الأبنـــاءُ ظِـــلّ أبـــوةٍ ... وأمومـــةٍ كانـــت أعـــز وأطهـــرا

فـــالبعضُ حـــاز - مِـــن النجابـــة - أصـــلها ... فهـــو الجـــديرُ بمَجـــده أن يُـــذكرا

والـــبعضُ مـــا قبلـــتْ عزائمُـــه العُـــلا ... فـــأبى المناقـــبَ والهُـــدى ، فتقهقـــرا

والـــذنبُ لـــيس إليكمـــا ، لكنـــه ... لجميـــل مـــا فـــي الوالـــدين تنكـــرا!

أمّـــاه شِـــعري ثاويـــاً سَـــطرْته ... بشـــذى المحبـــة والوفـــاء مُحَبّـــرا

مرثيـــة زهـــراءُ تختصـــرُ المَـــدى ... وتفـــوقُ - فـــي الحَبـــكِ الرصـــين - الجـــوهرا

وبـــذلتُ - فـــي تجميلهـــا - مـــا اســـطعته ... لتبيـــت - للنـــاعِين - بـــدراً نيـــرا

فتقبليهـــا ، واعـــذري مَـــن صـــاغها ... إن الرحيـــل - إلـــى الـــديار - تعـــذرا

هـــو نـــادمٌ ومُفـــرط ومُقصـــرٌ ... لـــولا الطغـــاة تغلبـــوا مـــا قصـــرا

ربـــاه فـــارحم (أم أحمـــد) رحمـــة ... مـــا أشـــرقتْ شـــمسٌ علـــى كـــل القـــرى!

الموتُ حار الكل في أسبابه
(تأبين الشربيني أبو طالب)

(حُق لي أن أسميَ عام 1999م عام الحزن ، إذ إنني افتقدتُ فيه أخاً في الله غالياً ، وأستاذاً علّم ونشأ وربّى ورسّخ وأعطى الكثير ، وهو الأستاذ الدكتور الشربيني أبو طالب ، رحمه الله رحمة واسعة. وكم تأثرتُ بفقد هذا الحبيب والمعلم والمربي الذي امتدتْ رحلته معي ، منذ كنتُ طالباً في المرحلة الإعدادية فالثانوية فالجامعية ، وامتدت العلاقة بعد الجامعة. نعم قام على تدريسي اللغة العربية وآدابها مذ كنتُ في الصف الثاني الإعدادي ، وإلى أن نال درجة الماجستير في الأدب العربي ، أو بالأحرى في النحو أو الأجرومية العربية. ولقد كان نعم الناصح الأمين ، فلقد والله عرضت عليه من أشعاري ما استطعتُ وما شاءه الله منذ كنتُ في مصر ، ويستضيفني في بيته استضافة يعجز عن رسم أبعادها وإحاطة القارئ بما فيها القلم. ومهما حاولت الكتابة عنها ما وفيتُه حقه! وكان قد اعتاد – رحمه الله – أن يشتري لي الدوريات والمجلات والكتب ، وكنتُ أفعل الشيء ذاته له. وأهديته يوماً (المعجم الوجيز) في طبعته الأولى الفاخرة فكاد يطير من الفرح. وكان يتواضع فيعطيني أوراق رسالة الماجستير أراجعها لغوياً ، وأنا الفقير في اللغة العربية وبضاعتي فيها ساعتئذ بضاعة مزجاة ، وهو يعلم ذلك ، لكنه التشجيع خلف ظلال التربية والعطاء. وكانت رحلة القطار من كفر سعد إلى المنصورة وكذا العودة سوياً جزءاً من تاريخ الذكريات وشريط الماضي. وأذكر أنه كان أول مخلوق له بعد الله الفضل في أن يجعل مني الخطيب الموهوب المفوه المصلق والشاعر القوي الشعر! وما ذاك إلا بفضل الله أولاً وآخراً ، ثم بفضل تشجيع أستاذنا الشربيني. الرجل الذي كان ينصح فتقع النصيحة موقعاً في القلب لا يوصف ، والرجل الذي ما كانت يده تفارق يدي وهو يستقبلني ضيفاً عليه في بيته ، حتى أجلس وآخذ مكاني عنده. والرجل الذي لما كانت الحرب بين داحس والغبراء قد شب لهيبها والتهب أوارها واشتد وطيسها (أعني الحرب بينه وبين أحد أحبتنا في الله وهو الحاج إبراهيم البغدادي وبعض إخوته هنا في كفر سعد – دمياط ، ونفخ فيها (أي في الحرب) شياطين الإنس والجن ، كنتُ قد ذهبتُ لأشفع للرجل عنده ، فقبل خاطري في حين رد خواطر وشفاعات قوم آخرين ربما في مثل سن آبائي وأجدادي! فجلّ الرجلُ في عيني ، وعظم في نظري ، وهو يعلن أمام الحضور يومها أنه رد شفاعة الكل وقبل شفاعتي ، وذلك في بيته عام 1988م. فكان من حقه عليّ أن أبكيه يوم رحيله بقصيدة كان يحبها ويتمثل بعض أبياتها عبْر رحلة القطار ، وربما هو الذي قدّم لي هذه القصيدة فيما قدّم على بساط البحث ومائدة التذوق الأدبي! وهي قصيدة شوقي في تأبين أحد أحبائه: (في الموت ما أعيا وفي أسبابه!) تلك التي حظيتْ بإعجاب النقاد المعاصرين والقدامى! وأشهد أنها قصيدة محبوكة مسبوكة ينفعل لها خاطري عندما أسمعها ، وكأنه لا يوجد قصيدة في الموت غيرها! لذا آثرتُ أن تكون قصيدتي في بكاء الدكتور الشربيني أبو طالب على ذات وزنها ورويها وقافيتها وبحرها. فإن لن تصل إلى عظمة أداء شوقي ، فلي شرف المحاولة في أن أعارض شاعراً كشوقي ، وقصيدة كهذي تعتبر من عيون شعر شوقي فضلاً عن أنها تعتبر في الوقت ذاته من عيون شعر العرب في العصر الحديث! روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رُفِع إليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وروى مسلم عن أبي هريرة –

رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيّئه ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء! ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تُحصد. والأرز في الحديث هي شجرة الصنوبر. وإنا لنحتسب الدكتور الشربيني عند الله تعالى ونصبر على هذا المصاب الجلل. فعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). رواه البخاري. ألا وإن قصيدتي عزاء كذلك للأدب العربي والإسلامي وأهله وللشريعة الحنيفية الغراء وأهلها ، إذ الدكتور الشربيني عالم أديب على كل حال. وإن موت العالم ثلمة في الدين. يقول الله تعالى: (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهمُ الغالبون؟) والحق أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. ولما كان الموت من حقائق اليقين فإن الله تعالى جعله برهاناً على ربوبيته سبحانه {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ، {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. وفي هذا الحديث العظيم تذكير بالموت ، ولذا أمر صلى الله عليه وسلم بتذاكر الموت ، وحث على زيارة القبور لرؤية مساكن الموتى ، من أجل أن تستيقظ القلوب من رقدتها ، وتنتبه من غفلتها ، فلا ينسيها عن ذكر الموت ما تتمتع به من مشاغل الدنيا وملهياتها. والناس في كل يوم يرون الأموات عياناً أو عبر الشاشات ، ويرون القتلى قد مددوا على الأرض ، وفي كل يوم يسمعون أخبار الموتى! وكان حقاً عليهم أن يعتبروا ويخافوا ؛ لأنه إذا كثر الموت كما هو الحال في زمننا هذا زادت نسب احتمالات وصول الموت إليهم. لقد كان الناس قديما - وبسبب تواضع وسائل الاتصال والإعلام - لا يسمعون أخبار الموت ، ولا يشاهدون الموتى إلا في فترات متباعدة ؛ فترق قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، وتعلوهم هيبة الموت ويتغير الواحد منهم فترة لا يشتهي الطعام ، ولا يغمض لمنام! يفزعه ذكر الموت ، ويرعبه منظر الموتى ، ويتذكر ما شاهد من جنازة ، ويفكر متى يحمل مثلها ، فينتفع قلبه بذلك مدة من الزمن. أما الآن فالناس في المقابر يتحدثون في أمور الدنيا ، ونعوش الموتى محمولة على أكتافهم ومنهم من يطالع رسالة في هاتفه ، أو يهاتف غيره ، وكأنه يحمل أي متاع لا يذكره بشيء. وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضِي ربنا وإنا بفراقك يا شربينيّ لمحزونون. اللهم ربنا اغفر له ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسحْ له في قبره ونور له فيه. اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسّعْ مُدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من خطاياه كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه ، ودماً خيراً من دمه ، وأدخله الجنة وأعذه من النار. إنك يا ربنا أرحم الراحمين وخير الغافرين يا رب العالمين.)

المـــوتُ حـــار الكـــل فـــي أســـبابهِ ... حقـــاً ، وتـــاه العقـــلُ فـــي عُجَّابـــهِ

وخـــزائنُ المقـــدور غيـــبٌ خـــالصٌ ... والخلـــقُ موقـــوفٌ علـــى أبوابـــه

لا تســـأل الأقـــدار ، مـــاذا خبـــأتْ؟ ... إذ لـــيس هـــذا ســـؤلَ فـــذٍ نابـــه

كـم مـن صـحيح فـي دجـى المـوت انـزوى ... خلـف القبـور ، بكـاه جُـل صـحابه!

أكلـتْ أمانيـه العِـذابُ فـؤادَهُ ... وأتـى الفـراقُ يخـط طـيّ كتابـه

وطغـى الرحيـلُ علـى مُحيّـاه الـذي ... مـا كـان يحلـم لحظـة بغيابـه

وسـعى وحيـداً فـي دهـاليز الجـوى ... وجنـى مصـابُ المـوتِ زهْـرَ شـبابه

وعلـى وفـاة الشـهم سـالتْ أدمـعٌ ... ودعـا – لـه - المشـتاق فـي محرابـه

واشـتد حـزنُ الخـل ينعـي خلـه ... وسـرتْ خيـوط الكـرب فـي أعصـابه

يبكـي ، ويغلبـه الأنـينُ ، فيشـتكي ... والـدمعُ يرفـل فـي أسـى تسـكابه

أبـداً يُبـارزه النشـيجُ ، فيكتـوي ... بلظـى النحيـب ، فيَحتمـي بشـعابه

حتـام تـرحمُ ذكريـات الأمـس قلـ ... ـباً مُوجعـاً ، يأسـى علـى أحبابـه

يـا أيهـا الحِـب المسـجّى ، آهتـي ... حـرّى تلـوم المـوتَ عبْـر وثابـه

تسـتمطر الرحمـاتِ ، تجهـش بالبكـا ... والقبـرُ موصـدُ خلـف صـمت ترابـه

وعلـى جبـين الضـيف بسـمة حـائر ... مـاذا وراء المـوت قـد أجـزى بـه؟

فـالموتُ كـأسٌ سـوف يشـربه الـورى ... رغـم الأنـوف علـى مَـرار شـرابه!

ولـه جنـودٌ لا تخـاف مُكـابراً ... وبـلاءُ رب النـاس مـن أسـبابه

نسـعى ، وفـوق الـرأس يسـعى موتنـا ... فـإذا دنـا أجـلٌ أتـى بحِرابـه

ويُراقـب الرمـقَ الأخيـرَ إذا اعتلـى ... مـتن الحيـاة ، يـؤزه بعذابـه

ولكـل مـوتٍ ظـاعن سـكراته ... والعبـد موقـوفٌ علـى أعتابـه

ومـن اكتفـى - بحياتـه - متشـاغلاً ... يومـاً يُجـرّع مـن أسـى إعجابـه

لمّـا علمـتُ بمـوت خـل صـادق ... كـم خصـني – دهـراً – بعـذب خطابـه!

وكـم اشـتراني مـن هـوىً يجتـاحُني ... وعلـى قريضـي رش مـن آدابـه!

ورأيتنـي – فـوق المنـابر - هاديـاً ... وصـعدتُ معتـزاً لعـز ركابـه

ورأيتنـــــي ، والشـــــعرُ يُتحـــــف هـــــامتي ... أبـــــداً أغـــــرّد فـــــوق دوح رحابـــــه

ورأيتنـــــي - بـــــين الخلائـــــق - كاتبـــــاً ... بيراعـــــةٍ ملئـــــتْ بـــــبعض لبابـــــه

ورأيتنـــــي متكلمـــــاً متبلغـــــاً ... وعلـــــى كلامـــــي العـــــذب بعـــــض ثيابـــــه

والفضـــــل للمنـــــان ، ثـــــم لصـــــاحبي ... فـــــالله يُكـــــرم مـــــن يلـــــوذ ببابـــــه

مازلـــــتُ أذكـــــر يـــــوم أن كنـــــا معـــــاً ... عبْـــــرَ القطـــــار ، وفـــــي نســـــيم عُبابـــــه

والفـــــذ يُعطـــــي مـــــن أصـــــيل علومـــــه ... والكـــــل ينهـــــل مـــــن جنـــــى أرطابـــــه

هـــــذا يُســـــائل ، ثـــــم هـــــذي تشـــــتكي ... وأنـــــا أســـــجّل كـــــل مـــــا أوصـــــى بـــــه

مازلـــــتُ أذكـــــر مـــــا بـــــذلتَ معلمـــــي ... والعلـــــمُ يزهـــــو بعـــــد كشـــــف نقابـــــه

إنـــــي أعـــــزي فيـــــك (ضـــــاداً) أثكلـــــتْ ... وأريجُهـــــا يبكـــــي عطـــــا غيّابـــــه

(ســـــندوبُ) بعـــــدك مقفـــــرٌ ديوانهـــــا ... ينعـــــي لمـــــن حضـــــروا رحيـــــل شـــــهابه

(منصـــــورة) التعلـــــيم بعـــــدك أمحلـــــتْ ... بـــــين الـــــورى ، تبكـــــي علـــــى أقطابـــــه

مـــــا زلـــــتُ أذكـــــر مـــــا نصـــــحت تريـــــدني ... علمـــــاً يُـــــؤازره عتـــــيُ صِـــــعابه

وطرحـــــتَ خيـــــرك - فـــــوق رأســـــي - وافـــــراً ... والعلـــــمُ تيجـــــانٌ علـــــى طلابـــــه

وغمرتنـــــي بنصـــــيحة شـــــعرية ... فاضـــــت علـــــى شـــــعري وبـــــوح رضـــــابه

وشـــــملتني برعايـــــة أخويـــــة ... والـــــود أهـــــداني بهـــــيّ رغابـــــه

مازلـــــتُ أذكـــــر مـــــن خِلافـــــك حِلمـــــه ... والحِلـــــمُ نـــــورٌ فـــــي دنـــــا أصـــــحابه

فـــــإذا اختلفنـــــا ، كنـــــتَ أنـــــدى منطقـــــاً ... والشـــــهمُ بـــــرٌ فـــــي رطيـــــب عِتابـــــه

إيثـــــارك الغـــــض الأريـــــب مُســـــامري ... فـــــي عـــــالم يجنـــــي علـــــى أنجابـــــه

وحيـــــاؤك المنثـــــور فـــــوق فضـــــولنا ... جـــــم الســـــنا متواضـــــعٌ بجنابـــــه

وســـــخاؤك المبـــــذول فينـــــا آيـــــة ... والجـــــودُ يحيـــــا فـــــي رُبـــــا أطيابـــــه

وإذا أســـــئ إليـــــك كـــــان ســـــماحكم ... عـــــف المكـــــارم عبـــــر ســـــحر جوابـــــه

لمّـــــا جُعلـــــتُ رســـــول مـــــن قـــــد عـــــابكم ... وتوسّـــــم الأقـــــوامُ دفـــــن سِـــــبابه

وهمستُ في أذنيك: هذا صاحبي ... واللفظ خان ، وشذ من أنيابه

فاغفرْ ، وأنت أميرنا وإمامنا ... والعفو أحمد في صنيع عُجابه

فرأيتُ منك لخاطري ما راقني ... والأمر أمسى في أليم مصابه

فرضيت بالصلح الزكي ليَعْبُروا ... جسر العداوة فوق ذل صعابه

وقتلت فتنتهم ليرضى جمعهم ... والصف عان في لظى أحزابه

يا (كفر سعدٍ) كيف طابت أنفسٌ ... أن تحمل الجثمان بعد ذهابه؟

والنعشُ – ويح النعش – في إدباره! ... والموكب المكروب في أعقابه

يبكي على أعناقهم متململاً ... والروحُ تنزف خلف ظل حِجابه

وهنالك الأسفار في إيوانها ... تأسى ، ويجرحها أنينُ كِعابه

وجحافل الزوار تطفو مُوقهم ... فوق الفقيد تروم يوم إيابه

يا أيها المجنوز موتك هزني ... والموتُ سيفٌ جد خلف قرابه

إلا بيوم رحيل أشجى مقرئ ... أعطى كتابَ الله جُل شبابه

ها ذاك (عبد الباسط) الفذ الذي ... قد كان كالنبراس في أترابه

وكذا بيوم فراق أخلص عالم ... إذ تعجز الكلماتُ عن ألقابه

(عبد الحميد) ، ومن يُباري شخصه ... فالعلم والترويح في إطنابه

من ذا أعزي فيك يا مصباحنا ... إن العزاء يئن من أنصابه

إني أعزي فيك كل موحّدٍ ... جعل التفقه من زها أنسابه

وكذا أعزي فيك كل معلم ... للضاد يُقري الناسَ من آدابه

فالضادُ أشرف ما علمتُ من اللغا ... والفذ من ضيفتْ على أحسابه

مثل الحليب على اللسان حروفها ... والجيلُ يفدي بأسها برِقابه

وكذا أعزي فيك أسرتك التي ... شط الوجومُ بها بأخذ عِقابه

وتحـــــدرتْ أحـــــداقها مـــــن حزنهـــــا ... والحـــــزنُ ملتـــــاعٌ ثـــــوى بلعابـــــه

حتـــــام يصـــــبر فـــــي المصـــــيبة آلكـــــم ... إن القنـــــــوط يـــــــؤزكم بخرابـــــــه

والله أرحـــــــم ، فاســـــــتكينوا واخشـــــــعوا ... ودعـــــوا الجـــــوى ينفـــــلّ فـــــي تلعابـــــه

قـــــدرُ المليـــــك ، وصـــــبركم فيـــــه العـــــزا ... وحبيـــــبكم قـــــد آن طـــــيّ كِتابـــــه

ولســـــوف أذكـــــر بـــــالترحم صـــــاحبي ... مـــــا قـــــد حييـــــتُ مُفـــــاخراً بركابـــــه

قـــــد كنـــــتُ أعطيـــــه القـــــريض لكـــــي يـــــرى ... أخطـــــاءه فـــــي (الضـــــرب) أو أذنابـــــه

فمـــــن الـــــذي يقـــــوى علـــــى مرثيتـــــي ... هـــــذي ، ويغشـــــاها بـــــبعض ســـــحابه؟

ذهـــــب الغطـــــاريف الـــــذين نحـــــبهم ... والجيـــــلُ يرثـــــي اللحـــــن فـــــي أعرابـــــه

وحمـــــائمُ الشـــــعر احتواهـــــا حزنهـــــا ... والنســـــرُ ثـــــاو فـــــي رحـــــى أســـــرابه

قـــــد كنـــــتُ أرجـــــو منـــــك نقـــــداً عـــــاجلاً ... يُزْكِـــــي القـــــريض ، تنـــــال حســـــن ثوابـــــه

أرســـــــــلته مُتكلفـــــــــاً ومُـــــــــؤمّلاً ... ووضـــــعتُ فـــــي الـــــديوان فضـــــل خِضـــــابه

لكـــــــن قضـــــــاء الله خـــــــط نهايـــــــة ... للقائـــــــه ، ليحـــــــين يـــــــومُ حســـــــابه

وأتـــــى ثنـــــاؤك فـــــي رســـــالة والـــــدي ... لـــــو كـــــان يعـــــرف عـــــن دنـــــو تبابـــــه

قـــــد أصـــــبحتْ ذكـــــرى عِبـــــاراتُ الثنـــــا ... وثنـــــاؤكم عنـــــدي أصـــــيل نصـــــابه

فليـــــرحم الـــــرحمنُ عبـــــداً قـــــد مضـــــى ... ويمـــــن بـــــالغفران كـــــي يُجـــــزى بـــــه

الوريثُ الوحيد!

(إنه عندما يوجدُ في عائلةٍ ما يتيم ، فإنه يتعينُ على ذوي قرابته أن يُكمِلوا مسيرة أبيه ، ولا يُشعرونه يوماً بأنه في هذه الحياة وحده ، يتلظى بنيرانها ويواجهُ بلاءاتِها! أما أن يكونَ اليتيمُ نهباً للسِّباع والضواري من بني البشر ، فهذا لا يُقِرهُ عَقلٌ ولا شَرع! ويتيمُ قصيدتنا أو (الوريث الوحيد) هو يتيمٌ لأب مُوفق صالح ، كان قد توفاه الله تعالى وابنه الوحيد في شهره الخامس! ومن رحمة الله تعالى به وبأمه أن ترك عائلهما لهما إرثاً عظيماً يكفيهما ويفيض عن حاجتهما! وهو عبارة عن مجموعة شركات منتجات الألبان مَحلية وعالمية! ولأنه كان رجلاً طيباً محسناً ، لم يكن يبخلُ على أبيه وأمه وأخيه الوحيد وأخته الوحيدة! بل أغدقَ عليهم بالخيرات ، الأمرُ الذي جعل أمواله تتكاثرُ تكاثرَ الدود كما يقولون! وبعد أن اكتملتْ مراسيمُ الغسل والتكفين والصلاة والدفن والعزاء! وبعد فترة الإحداد بشهر ، جاء أخوه الوحيد ، ذلك العم العجيب إلى بيت أخيه ، وقال لزوجة أخيه: يا بنت الحلال ، لن تستطيعي إدارة شركات أخي وحدك ، وسوف أقومُ بهذا نيابة عنك! فوافقتْ وعملتْ له توكيلاً عاماً ليباشر عمله في الشركات ، بناءً عن طلبه! وبيتتِ المرأةُ حُسنَ النية ، فلم تُخوِّن هذا الرجل ، وتوسمتْ فيه خيراً في أن يرد جميلَ أخيه عليه وعلى عائلته! فواعدَها وأعطاها عهدَ الله وميثاقه أن يكون وفياً ، وأن يُطلعها على مُجريات الأمور أولاً بأول! ولكن للأسف ، لم ينفذ مما قال شيئاً ، بل استغلَ التوكيلَ العام وباعَ الشركات ، وسافرَ بأسرته إلى أمريكا ليَسلم من المُقاضاة العقيمة ، فهو غير مدان بالقانون ، وإن كان مُداناً بالشرع المطهر! فلقد كانت كل إجراءاته صحيحة قانوناً وإنْ لم تصح شرعاً! سافر خارج الدولة ، تاركاً زوجة أخيه وابنها اليتيم يأكلان من نوال المحسنين الذين أحسنَ إليهم زوجها في حياته ، وأغناهمُ الله تعالى على يديه! (إن ربي لطيفٌ لما يشاء)! وأما المهاجر السارق المحتال المجرم الأثيم ، فنمَّى أمواله في أمريكا ، وأصبح يمتلك مئات الملايين من الدولارات! وانقطعتِ الأخبارُ عقدين من الزمان ، لدرجة أن المرأة وابنها اعتقدا أنه قد مات! وبعد عقدٍ من السنوات ، عاد السارقُ واشترى عمارة وفيلا وأسس مجموعة شركات ، واشترى سيارة فارهة للغاية ، ولم يفكرْ حتى في مجرد السؤال عن زوجة أخيه وابنها! ولما علمتِ المرأة برجوعه ، أخذت وفداً من أهلها وأهله في محاولةٍ بائسةٍ يائسةٍ منها لإرجاع الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها! ولكن العم وبعد إعطاء عشرات المواعيد ، أعرض ونأى بجانبه ، ولم يعترف لها ولا لابنها بمِفحص قطاة! فعادتْ تجُر أذيال الخيبة واليأس إلا من أمل كبير في الله تعالى الحكم العدل! وقبل مغادرة المجلس وأمام الرجال طلبتْ منهم أن يُنصتوا كما طلبتْ منه أن ينصتْ لها! ولمّا أنصت الجميعُ قالت له بكل يقين وهدوءٍ وثقةٍ كبيرةٍ في الله: اعلم أنني لما أعطيتك التوكيل بحسن نية كنتُ قبلها قد استخرتُ الله تعالى ، وأمضيتُ قراري بتحرير التوكيل بعد دراسةٍ واستخارةٍ ، ولمَّا لم تصُن الأمانة وفعلت ما فعلت ، وأتينا نعطيك الفرصة لإرجاع الحق الذي لم تعترف به قائلاً: القانون لا يحمي المغفلين ، فإنني أتوجه إلى الله تعالى بأن يكون بيني وبينك ، وأن يكون لي ولابني اليتيم عليك! وقولك: (القانون لا يحمي المغفلين) يقابله عندي (أن الله لا يصلح عمل المفسدين)! ولا أزيد ، وطلبتْ من إخوتها وأعمامها وأخوالها إنهاء المجلس ، لأنه لا جدوى من المناقشات والمجادلات! وأردفت قائلة: حسبي الله تعالى ونعم الوكيل ، فوضتُ أمري وأمر ولدي إلى الله رب العالمين! وبعد سنة بتمامها ، وعلى طريص صحراوي معبَّد تصطدم سيارة العم السارق بشاحنة ، وكان حادثاً فظيعاً مريعاً أسفر عن وفاته ووفاة أفراد أسرته جميعاً بدون استثناء في مكان الحادث!

وكان الوريث الشرعي الوحيد هو اليتيم الذي لم يتجاوز الاثني عشر عاماً ، يوم عاد له المالُ المنمَّى أضعافاً مضاعفة! ويبوءُ العم بالإثم في قبره وآخرته! فسبحان مَن إذا أملى لظالم لم يُفلتْه! فتخيلتُ هذا اليتيم يصِفُ لنا قصته ، ويحكيها من يوم مات أبوه الطيب الصالح الموفق ، إلى يوم مات عمه الطمَّاع الجشِع ، في قالب مأساوي مضحكٍ مبكي!)

ويـــحَ العُمومـــة لمَّـــا تُـــوفِ بالعهـــدِ ... وأخلفـتْ مـا انتـوتْ مِـن صـادق الوعـدِ

هـــي التـــي اقترحـــتْ ، والأم قـــد قبلـــتْ ... وباركـــتْ مـــا ارتـــآه العَـــمُّ مِـــن قصـــد

أعطتْـــــه بارقـــــة الأمـــــان تســـــبقها ... قناعـــــة أنْ يعـــــودَ الأمـــــرُ بالفيـــــد

وأمَّلـــتْ خيرَهـــا يـــأتي علـــى عَجَـــل ... ولـــم تُـــدوِّنْ علـــى الأوراق مِـــن قيـــد

وشـــجّعتْه علـــى اســـتثمار مـــا ورثـــتْ ... ولـــم تُعلـــقْ علـــى نـــصٍّ ولا بَنْـــد

وناولتْـــــهُ مِـــــن التطمـــــين حِصَّـــــته ... لأنـــــه جـــــادَ بالأيمـــــان والعهـــــد

وقاســـــمَ الأم أن الخيـــــرَ موعـــــدُها ... إنْ طـــابَ زرعٌ ســـيؤتي طيِّـــبَ الحَصـــد

فـــدونتْ إســـمَها فـــي الطِـــرس راضـــية ... ولـــم تُخـــوِّنْ ، عســـى الـــرحمنُ أن يهـــدي

ووقعـــــتْ دون تأجيـــــل وكالتهـــــا ... واســـتقبلَ العـــمُّ جَـــذلاً عاجـــلَ الـــرد

وقـــام عمـــي بمـــا يَخـــزى الجبـــينُ لـــه ... بـــرغم مـــا كـــان يُبديـــهِ مِـــن الزهـــد

بـــاعَ المـــواردَ أغنتْنـــا مكاســـبُها ... عـــن جُـــود عَمْـــر مِـــن الآنـــام ، أو زيـــد

فلـــم تعُـــدْ شـــركاتٌ نســـتعينُ بهـــا! ... كانـــت لأمـــي ولـــي مِـــن أنفـــع الرِّفـــد

غـــدرت يـــا عـــمُّ ، والأعـــدا بنـــا شـــمتوا ... فمـــا مُبـــررُ مـــا أتيـــت مِـــن كيـــد؟!

أمـــا حبـــاك أبـــي الأمـــوالَ وافـــرة ... جَلـــتْ عـــن الحَصـــر يـــا عَمـــاهُ والعـــد؟!

ألـــم يَخصـــك بالعطـــاء أنـــت بـــه ... فـــي ذِروة العـــز والتمكـــين والســـعد؟!

ألـــم يُـــؤازرْك بـــالخيور مـــا صـــرفت ... عينـــاك عـــن نهمـــة الأطمـــاع والجَحـــد؟!

أنـــا اليتـــيمُ ، وهـــذا المـــالُ مـــالُ أبـــي ... وقبـــلَ فقـــدِ أبـــي ذاقَ الـــردى جـــدي

لا عَـــمَّ يُرجـــعُ مـــا اســـتحللت دون حيـــا ... بـــدافع الـــبُغض والشـــحناء والحِقـــد

ثـــم اغتربـــت عـــن الـــديار مُغتصـــباً ... أمـــوالَ أم وطفـــل كـــان فـــي المهـــد

وبـــــارك الله أمـــــوالاً ظفـــــرت بهـــــا ... عقـــداً ، ولمَّـــا تـــزرْ أهليـــك فـــي البُلـــد

ونحـــــن عِشـــــنا علـــــى نـــــوال كوكبـــــة ... مِـــــن الأماجـــد ، رامُـــوا جَنـــة الخُلـــد

مـــا ألجأونـــا بمـــا جـــادوا إلـــى أحـــدٍ ... والجـــودُ أذهـــبَ ذِكـــرَ النهـــب والفقـــد

وأنـــت ترتـــعُ فـــي أموالنـــا غـــرداً ... واهـــاً لعـــم علـــى إهلاكنـــا غِـــرد!

وعُـــــدت تملـــــك آلافـــــاً مؤلفـــــة ... وجئـــت أطلـــبُ حقـــي ، قلـــت: مـــا عنـــدي!

هيـــا اثبتـــوا حقكـــم ، حتـــى أعيـــدَ لكـــم ... أوراقكـــم أيـــن أتلوهـــا فأســـتهدي؟!

فقلـــتُ: يـــا عمَّنـــا ، دنيـــاك فانيـــة ... فامهـــدْ لنفســـك خـــفْ مـــن ظلمـــة اللحـــد!

مـــا زادَ خـــذهُ ، وأرجـــعْ مـــا ســـرقت لنـــا ... حتـــى تعـــود لنـــا وشـــائجُ الـــود!

فقلـــت: لـــيس لكـــم فـــي ذِمتـــي ذهـــبٌ ... كـــلا ، ولا وَرِقٌ ، والـــزورُ لـــن يُجـــدي!

فعـــدتُ يَصـــحبُني يـــأسٌ بُلِيـــتُ بـــه ... إذ مـــا لطغيـــان هـــذا العـــم مِـــن حَـــد!

وفيـــك فوضـــت رب النـــاس منتظـــراً ... عدالـــة الخـــالق المُهـــيمن المُبـــدي

ومـــا غفلـــتُ عـــن الـــدعاء أرســـلهُ ... والكـــف مُـــدتْ إلـــى رب الســـما الفـــرد!

وكنـــتُ واللهِ يـــا عمـــي علـــى ثِقـــةٍ ... مـــن نصـــر رب يُعيـــدُ الحـــق للعبـــد!

فجاءنـــا نبـــأ أصـــمى مســـامعنا ... مـــن أن عمـــي قضـــى فـــي حـــادثٍ مُـــردي

وأســـرة العـــم يـــا للهـــول قـــد هلكـــتْ! ... وبـــت وحـــدي وريثـــاً لـــيس مـــن نِـــد!

وعـــاد مـــالي ، ورب النـــاس ضـــاعفهُ ... وللمهـــيمن كـــلُّ الشـــكر والحمـــد

وبُـــدِّلَ الحـــالُ مِـــن ضِـــيق إلـــى فـــرج ... والعـــيشُ كـــالبحر بـــين الجَـــزر والمَـــد!

اليتمُ دَربُ الغِنى!

(يحكى أن أمراة تزوجت بعد وفاة زوجها ، وكان لديها طفلٌ واحدٌ من زوجها السابق ، وكان يبلغ من العمر ثلاثة أعوام ، وانتقلت المرأة إلى منزل زوجها مع ابنها بعد زواجها من الرجل الثاني. وكان غنياً جداً فلم يعترض الزوج على بقاء الطفل في منزله مع أمه! وبعد مرور عاما أنجبت المرأة طفلاً ، وشعر الزوج بالسعادة الغامرة ، ولكن بدأت مشاعر الزوج تتغير باتجاه ابنها اليتيم. حيث توقف عن اللعب معه ولم يعد يهتم به مثل السابق ، وأصبح لا يطيق وجوده في منزله الواسع. وفي أحد المرات عاد الرجل من العمل ومعه دراجة هوائية لابنه! وكانت الأم تتألم بشدة وهي ترى ابنها اليتيم يشاهد أخاه بحزن وهو يلعب ويتجول في المنزل فوق دراجته الجديدة! فتحدثت الأم مع زوجها ، وطلبت منه أن يجلب دراجة أخرى لابنها اليتيم مثل أخيه ، ولكن الزوج رفض بشدةٍ ، وأخبرها بأنه ليس مسؤولا عنه ، وإذا لم تتوقف عن الحديث عن ابنها فإنه سوف يقوم بطرده من المنزل ، فشعرت بالخوف على ابنها ، وتقبلت الأمر خوفاً على فقدانه! وقبلت الأم أن ترى ابنها يعيش حياة مريرة وقد ملئت هذه الحياة ظلماً وحزناً وقهراً وألماً أفضل من أن لا تراه نهائياً! ومضت الأيام ، وكبر الأولاد ، وقام الزوج بتسجيل ابنه في أحدث المدرس الأهليه ، ورفض تسجيل ابن زوجته فيها ، وقال: أنا لست والده ، لكي أهدر أموالي في تعليمه! وفي النهاية هو لن ينفعني ، ولن يحمل اسمي ، فأجابت الأم بغضب ، وقالت: نعم ربما لا يكون من لحمك ودمك وليس ابنك ولن يحمل اسمك. ولكن هذا لا يعني أن تحرمه من التعليم ، وتتركه يعيش في ظلام الجهل ، أليس في قلبك ذرة رحمة وشفقة؟! ألا تعطف على طفل يتيم؟! فقال لها متجهماً: لقد طفح الكيل ، أنا لم أعد أحتمل وجوده هنا ، ولا أريد رؤيته في منزلي! وهنا اقترب الصبي من أمه ، ومسح دموعها ، فنظرت إليه نظرة عطفٍ وحنان وإشفاق! فقال لها وهو يبكي: لا تحزني يا أمي ، لا يوجد شيئ يستحق أن تذرفي دمعة واحدة من دموعك من أجله ، لقد تعبت وأنا أرى ذلك العجوز يقوم بإهانتك كل يوم من أجلي! ومن أجل أن تكوني سعيدة ، سوف أرحل وأترك المنزل! وودع الصبي أمه ، وحمل ملابسه ، وغادر البيت! وأصبح قلبها يشتعل ناراً! ويوجد أسئلة كثيرة لا تعلم أجوبتها: إلى أين سيذهب هذا الفتى الصغير؟ وأين سوف يعيش؟ وأين سوف يأكل؟ وماذا إن مرض؟ من الذي سيداويه وسيهتم به؟! كل هذي الأسئلة كانت تطرق رأسها ، ثم رفعت يدها الى السماء وقالت: اللهم إني استودعتك ابني اليتيم ، فتكفل به واحفظه ، وأعده لي سالماً غانماً ، كما أعدت موسى – صلى الله عليه وسلم – لأمه! ومرت سُويعات ، وعاد الزوج من العمل نظر إلى زوجتة فوجدها سعيدة مطمئنة. فتعجب من أمرها ، كيف تبدو سعيدة ولم يمر علي رحيل ابنها بضع ساعات! فسألها: لماذا أنت سعيدة ولست حزينة على رحيل ابنك؟! فابتسمت ثم قالت: لقد تركت أمر كفالته على من يستطيع رعايته وحمايته وهو الوحيد القادر على فعل كل ذلك دون ملل وكلل ودون أن يطلب مقابلاً أيضاً! فقال متعجباً من هو؟! فقالت: إنه الله رب العالمين! فضحك ساخراً ، وقال: العالم في الخارج لا يرحم مسكيناً ، ولا يشفق على جائع! يبدو أنك فقدت عقلك! ومضت عجلة الزمان ، وبعد مرور سنواتٍ قليلةٍ عاد ابنها لزيارتها وهو يحمل طفلاً بيده ويصطحب امرأة برفقته. فسلم على أمه. فقالت وهي في غاية السعادة: من هذه المرأة؟! وابن من هذا الطفل؟! فأجابها بدون إبطاء: هذه زوجتي وهذا ابني. فقالت: كيف استطعت أن تكوِّن حياتك وأنت ليس لديك المال ولا مأوى لك ولا عائل؟! فقال لها: في الحقيقة أنا لا أعلم كيف عصفت بي الحياة ، لقد كنت تائهاً وحيداً ، لا أدري إلى أين أذهب. ثم توجهت

إلى أحد المساجد في قرية صغيرة ونمت. وكنت أبحث في النهار عن عمل وفي الليل أعود الى المسجد! فأخبرت إمام المسجد بقصتي وثم أستأذنت منه أن يسمح لي بأن أبات في المسجد حتى أجد مكاناً ، وافق وكان يطعمني كل يوم وكنت أقوم بتنظيف المسجد. وفي أحد الأيام مرض الإمام فتقدمت أنا بالناس ومنذ تلك الليلة وأنا أصلي بالناس. وبدأ الناس يتقربون مني ، وأصبح الجميع يحبونني ويحترمونني. ثم عرضوا علي بأن أتزوج من فتاةٍ يتيمةٍ ليس لديها سوى جدتها ، فوافقت ، وتكفل جميعهم بكل شيء. وتزوجت وبعد فترةٍ قصيرةٍ توفت السيدة العجوز! وحصلتْ زوجتي الفاضلة على قطعة أرض من ورث جدتها. وقمت بزراعتها وتحسنت أوضاعنا والحمد لله. أصبح لدي الكثير من الأراضي الزراعية! وهنا بكت الأم من شدة السعادة وعلمت بأن الله استجاب لدعائها. ولكن لم يكن الزوج مصدقا أنه سوف يعود في يوم من الأيام شخصاً غنياً! وجاء وتحدث إليه وقد زالت الأحقاد والضغائن ، حيث أيقن زوج أمه أن الله تعالى قد تكفل بالصبي ورعاه! فقال: ونعم بالله! وإذن فاليتم حقيقة درب الغنى والعفة والاعتزاز!)

إنمـــــا اليُـــــتمُ يَسَـــــارٌ وغِنـــــى ... وانتصـــــارٌ رَغـــــم ألـــــوان العَنـــــا

وابتشـــــــارٌ بـــــــالخيور ازيَّنـــــــتْ ... واعتلـــــتْ حِصـــــنَ التحـــــدي مَســـــكنا

كابـــــــدتْ أمٌ ، وجـــــــافى زوجُهـــــــا ... وأتـــــــى فِعـــــــلاً دَنيئـــــــاً أرعَنـــــــا!

لـــــم يكـــــنْ فـــــي قلبـــــه الجـــــافي وفـــــا ... ولآيـــــــات الهُـــــدى مـــــا أذعنـــــا

أزه العِنـــــــــــدُ ، وأغـــــــــــراهُ الأذى ... لـــــم يكـــــنْ فيمـــــا ارتـــــآهُ مُحسِـــــنا

وانبـــــــرى يهـــــــذي بأشـــــــقى حُجَّـــــــةٍ ... بكُليمـــــــــاتٍ تبـــــــدَّتْ مَطعنـــــــا!

أنكـــــــــرتْ أمٌ وقالـــــــــتْ رأيهـــــــــا ... لكـــــن الـــــزوجُ لحـــــق مـــــا انثنـــــى

قـــــال: هـــــذا لـــــيس منـــــي ، فـــــافهمي ... لســـــتُ أهـــــوى قـــــط أن يبقـــــى هُنـــــا!

فمضـــــــى الابـــــــنُ البئـــــــيس المبتلـــــــى ... بعـــــد أن ضـــــاقتْ علـــــى الســـــاري الـــــدنا

ثـــــم جَـــــنَّ الليـــــلُ ، واســـــودَ الـــــدجى ... ومِـــــن الظلمـــــة قـــــد يـــــأتي الســـــنا

جعـــــلَ السُّـــــكنى بـــــأرجى مســـــجدٍ ... وعلـــــى الحُســـــنى (إمـــــامٌ) بَرهنـــــا

بـــــذلَ الخيـــــراتِ ، لـــــم يبخـــــلْ بهـــــا ... جَـــــلَّ سَـــــمْتاً ، وتســـــامى مَعـــــدنا!

وأهـــــالي الحـــــي ســـــاقوا جُـــــودَهم ... وأنـــــالوا الأعـــــزبَ الشـــــهمَ المُنـــــى!

زوَّجـــــوهُ حِســـــبة ، يـــــا ســـــعدَهم! ... فـــــإذا بـــــالعيش يُشـــــجيه الهنـــــا

زالَ عنـــــه اليُـــــتمُ ، بـــــاتوا أهلـــــه ... وتوَلـــــتْ كـــــل أصـــــناف الضـــــنا

وغـــــــزتْ تفكيـــــــرَه أمٌ نـــــــأتْ ... بـــــدُعاها الابـــــنُ بـــــاهى ، واغتنـــــى

كيـــــف ينســـــاها ، ولـــــم تغـــــدُر بـــــه؟! ... هـــــل لـــــه عنهـــــا بمـــــا قالـــــت غِنـــــا؟!

نصـــــبَ عينيـــــه زهَـــــتْ أطيافهـــــا! ... كـــــلُّ طيـــــفٍ غـــــالَ كربـــــاً مُحزنـــــا!

بضـــــعة الأعـــــوام أمســـــتْ أدهُـــــراً ... وكـــــأن البُعـــــدَ وافـــــى أزمُنـــــا

زارهـــــا والأنـــــسُ يُشـــــجي قلبـــــه ... وإذا بالـــــدمع يُزْكِـــــي أعيُنـــــا

غربـــــة طالـــــتْ ، وشـــــبَّتْ نارُهـــــا ... وحبيـــــبُ الـــــروح فيهـــــا أمعَنـــــا

رحَّبَـــــتْ بـــــابن وزوج أشـــــرقتْ ... وحفيـــــدٍ بـــــالتلاقي دَنـــــدَنا

قـــــال: يـــــا أمـــــاه دنيـــــا أقبلـــــتْ ... حـــــوَّلَ الـــــرحمنُ صـــــعبي هيِّنـــــا

دعـــــوة هـــــذي اســـــتُجيبتْ صـــــدِّقي ... وغـــــدا حـــــالي ببُعـــــدي أحســـــنا

فـــــافرحي لـــــي ، واقرئـــــي أقصوصـــــتي ... قصـــــة التمكـــــين طابـــــت والغنـــــى

مـــــا اختفـــــى منهـــــا لقـــــد أعلنتـــــه ... كـــــل ســـــر فـــــي حيـــــاتي أعلنـــــا!

ازرعـــــي الآمـــــالَ فـــــي نفـــــس خبـــــتْ ... عزمُهـــــا بـــــالقهر أضـــــحى موهنـــــا

كـــــل حـــــي ســـــيُوافى رزقـــــه ... كـــــاملاً مســـــتكملاً قبـــــل الفنـــــا

أعلِمينـــــا أنمـــــا اليُـــــتم مَضـــــا ... وســـــبيلٌ للتنـــــامي والبنـــــا

وقضـــــاءُ الله بـــــاليُتم قضـــــى ... لليتـــــامى أن يُنـــــادوا: ربنـــــا!

أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه؟

(حكاية عجيبة جداً تلك التي حدثتْ هناك على أرض البوسنة في التسعينيات من القرن المنصرم وتحديداً في عام 1993م. عندما كانت محنة سراييفو على يد الصرب المعتدين. والأصل أن جنود (الناتو) جاؤوا لإحلال السلام في المنطقة ولكن الحقيقة غير ذلك. وكم من مبالغات وهالات نزاهة قد نصبتْ على كثير من الهيئات والمنظمات هنا وهناك ، والله يشهد أن ليس لها نصيب من الصدق ولا المصداقية قط إلا في التسمي زوراً وبهتاناً. حيث اعتاد هؤلاء الجنود على اصطياد النساء والاعتداء على ذويهن علناً. وإنْ هى إلا قصص مكرورة مشهورة. غير أن الذي لفت انتباهي في هذه القصة أنها لامرأة عفيفة شابة تحفظ القرآن وتُدرّسه لبنات حيّها. قتل جنود الناتو والصربيون ذويها. وظفروا بها ، وكانوا سبعة جنود. وبتهديد السلاح ألجؤوها إلى إحدى غرف البيت ، وراحوا يغازلونها ، ويتحرشون بها ، وشرعوا في تعريتها ليتعاوروا عليها كالكلاب الضارية أو الذئاب الشرسة ، فدعت الله وتذكرت: (أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه ويكشف السوء؟) ، فقالت: يا رب أعمهم فلا يرون مني ، وأرسل عليهم الشلل فلا يتعاورون عليّ. وقد كان ، فعموا وشُلوا في التو واللحظة. فما رأوْها عارية ، ولا تعاوروا عليها ، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون. فلبستْ ما طرحوه من ثيابها. وتناولتْ سلاح أحدهم ، وقتلتهم جميعاً ، وخرجت سالمة بفضل الله ورحمته. إنني أسطر هذه القصيدة لكل باحث عن الحقيقة ولكل مبتلى في سبيل الحق والحقيقة ، حتى إذا ما عاش أحدهم أو إحداهن الابتلاءَ في سبيل هذا الحق وتلك الحقيقة ، كان له أو لها رصيد من القدرة على مواجهة الطواغيت الكفرة أياً كان مكانهم أو زمانهم. وأياً كان سلاحهم وعتادهم وذخائرهم. أكتب وأنشد وأروي وأسجل للأجيال القادمة من باب (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) ، ومن باب وصية الله عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) ، ومن باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في مدح قوة المؤمن والإشادة بها: (المؤمن القويّ خيرٌ وأحب الى الله من المؤمن الضعيف). ومن باب وصية لقمان الحكيم فيما صح عنه: (ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة: الشجاع في الحرب ، والكريم في الحاجة ، والحليم في الغضب). إنني لا أريد بالذي أنشده من هذا القبيل أن أروّع أو أسبّط الهمم كما قيل لي من البعض. إن هذه القصيدة انتصارية للحق ، وتبصيرية بمدى ما يحتويه سبيله من تبعاتٍ وابتلاءات. إنني ما أردت بها إثارة الرعب. بل أريد أن أبصّر سالكي درب الحق وسبيل الحقيقة أن هذا الدرب ليس مفروشاً بالورود والرياحين ، بل مفروش بالعذابات والبلاءات والإحن والمِحن والآلام. إن الورود والرياحين في زماننا مرتصدة للمفسدين في الأرض والمفسدات. وأحرى بأهل الحق والخير أن يداوموا على اتباع حقهم والذود عنه مهما كانت التضحيات والأثمان. إن أهل الباطل لا يكفون عن نشر باطلهم طرفة عين ولا أقل من ذلك. إن هذه الأخت المباركة التي تشرّفت بها قصيدتنا قد ضربتْ أروع الأمثلة في التضحية والفداء من جهة ، وضربتْ أروع الأمثلة في صدق التوكل على الله واليقين فيه وحسن اللجوء إليه عز وجل والاعتصام به بكل ما تعنيه الكلمة من معان. لقد ردّدتها آية ، وكانت فيها صادقة مخلصة ، فحقق الله عز وجل لها ما تريده. وكأني بها والله حسيبها ووكيلها قد صدقت مع الله الإيمان والدعاء والإخلاص فصدق الله – عز وجل – معها الاستجابة ومنحها التوفيق ، وحقق لها النصر المؤزر المبين. فلله الفضل

والمنة. (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ). قال ابن كثيرٍ - رحمه الله -: «المراد بالنصر الانتصارُ لهم ممَّن آذاهم ، وسواءٌ كان ذلك بحضرتهم أو في غَيْبَتِهم أو بعد موتهم كما فَعَلَ بقَتَلَة يحيى وزكريا وشِعْيَا: سلَّط عليهم من أعدائهم مَن أهانهم وسَفَك دماءَهم...وأمَّا الذين راموا صلْبَ المسيح عليه السلام من اليهود فسلَّط الله تعالى عليهم الرومَ فأهانوهم وأذلُّوهم ، وأظهرهم الله تعالى عليهم ثمَّ قبل يومِ القيامة سينزل عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام إمامًا عادلًا وحَكَمًا مُقْسِطًا ، فيقتل المسيحَ الدجَّال وجنودَه من اليهود ، ويقتل الخنزيرَ ويكسر الصليب ، ويضع الجزيةَ فلا يقبل إلَّا الإسلامَ ، وهذه نصرةٌ عظيمةٌ وسُنَّة الله تعالى في خَلْقه في قديم الدهر وحديثِه: أنه ينصر عبادَه المؤمنين في الدنيا ويُقِرُّ أعينَهم ممَّن آذاهم. ففي صحيح البخاريِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالحَرْبِ». وفي الحديث الآخَر: «إِنِّي لَأَثْأَرُ لِأَوْلِيَائِي كَمَا يَثْأَرُ اللَّيْثُ الحَرِبُ»).هـ.)

الحمـــــــد لله الـــــــذي نجـــــــاني ... مـــــن كيـــد أهـــل الكفـــر والطغيـــانِ

حمـــــداً كثيـــــراً طيبـــــاً ومباركـــــاً ... مـــــلء الســـــما والأرض والأكـــــوان

بـــل مـــلء مـــا شـــاء المهـــيمنُ ربنـــا ... جـــلّ المليـــكُ البـــر ذو السُـــبحان

نِعَـــمُ الإلـــه علـــى العبـــاد غزيـــرة ... فلـــه عليهـــا وافـــرُ الشـــكران

لا يخـــذل المـــولى الألـــى اعتصـــموا بـــه ... ويبـــوء مَـــن جحـــدوه بالخـــذلان

والله ناصـــرُ مـــن يلـــوذ ببابـــه ... ومُجيـــره مِـــن مكـــر كـــل جبـــان

ويُعـــينُ عبـــداً يســـتعينُ بـــه فـــلا ... ينهـــارُ تحـــت مطـــارق العـــدوان

ويُغيـــث ملهوفـــاً ، ويَقبـــلُ تائبـــاً ... ويقابـــلُ الإحســـانَ بالإحســـان

ويُجيـــبُ مضـــطراً دعـــا متوســـلاً ... ودموعُـــه جـــادت بهـــا العينـــان

وأقـــول هـــذا مـــن عميـــق تجـــارب ... فيـــه الـــدليلُ يشـــع بالبرهـــان

وإليـــك قصـــة حُـــرةٍ منكوبـــةٍ ... أسِـــرتْ بأيـــدي عابـــدي الصـــلبان

لـــو لـــم أعـــشْ أحـــداثها وعظاتهـــا ... وختامهـــا واللهِ عشـــر ثـــوان!

لـــو لـــم أعـــاين دِقهـــا وجَليلهـــا ... لنكرتهـــا فـــي عـــالم الحَـــدَثان

ولقلـــت هـــذي فريـــة مكشـــوفة ... لا درب يُوصِـــلها إلـــى الأذهـــان

هـــي - للخيـــال المَحْـــض - أقـــرب رتبـــة ... إن لـــم تكـــنْ ضـــرباً مِـــن الهـــذيان

أنـــا - بـــين أهلـــي - كنـــت أحيـــا غـــادة ... مثلـــــي كمثـــــل بقيـــــة النســـــوان

ونعـــــيشُ للإســـــلام يعرفنـــــا الـــــورى ... وأنـــــا نـــــذرتُ العمـــــر للقـــــرآن

ومَظلـــــة التقـــــوى تظلـــــلُ دارنـــــا ... وتحيطنـــــا بكرامـــــةٍ وأمـــــان

وأبـــــي وأمـــــي مُســـــلمان كلاهمـــــا! ... برئـــــا مِـــــن الإشـــــراك والكفـــــران

وأنـــــا وزوجـــــي والصـــــغارُ عِيالنـــــا ... نحيـــــا علـــــى الإســـــلام والإيمـــــان

لا شـــيئ ينقصُـــنا ســـوى حســـن اللقـــا ... أعنـــــي لقـــــاء الواحـــــد الـــــديان

ثـــــم ابتلينـــــا بالنصـــــارى كـــــالردى ... وطئـــــوا الـــــديارَ بجحفـــــل عُـــــدواني

فتعقبـــــوا أهـــــل المـــــدائن والقـــــرى ... حتـــــى أبـــــادوا أغلـــــبَ الســـــكان

ومـــــدافعُ الكفـــــار سَـــــوّتْ دورَنـــــا ... بـــــالأرض بعـــــد تســـــاقط الجـــــدران

حتـــــى المســـــاجد هـــــدّموها عنـــــوة! ... سُـــــقيا لعهـــــد شـــــعائر وأذان!

وأتـــــوْا علـــــى جيراننـــــا فـــــي بيـــــتهم ... فرأيتـــــه يهـــــوي علـــــى الجيـــــران

وأتـــــى علينـــــا الـــــدورُ داخـــــلَ بيتنـــــا! ... فعلـــــوا الـــــذي مـــــا كـــــان فـــــي الحُســـــبان

قتلـــــوا أبـــــي ، لـــــم يُغـــــن عنـــــه مَشـــــيبُه ... وتعقبـــــوا - برصاصـــــهم - إخـــــواني

ونصـــيبُ أمـــي القتـــلُ حيـــث دعـــتْ علـــى ... أعـــــدائها بنحيبهـــــا الهتـــــان

وأتـــــوْا علـــــى الأبنـــــاء فـــــي وحشـــــيةٍ ... فرأيـــــتُ بعـــــض ملابـــــس الصـــــبيان

ورأيـــــتُ أشـــــلاء الجميـــــع تنـــــاثرتْ ... والبيـــــتُ أقفـــــرَ مِـــــن سَـــــنا الولـــــدان

وعلـــــيَّ جـــــاء الـــــدور ، كيـــــف أصـــــدّهم؟ ... هـــــل صـــــدّ هـــــذا البغـــــي فـــــي إمكـــــاني؟

قلـــــتُ: اقتلـــــوني بالرصـــــاص شـــــهيدة ... لتكفكِفـــــوا مِـــــن فـــــورة الشـــــنآن

عَيشـــي - بـــدون الأهـــل - مَـــوتٌ للتـــي ... فقـــــدتْ جميـــــع الآل والخـــــلان

عينـــــاي أبصـــــرتا الـــــذي لـــــم تبصِـــــرا ... فـــــي عـــــالم الآســـــاد والعقبـــــان

والقلـــــبُ تغمـــــرُه الـــــدماءُ رخيصـــــة ... وكأننـــــا فـــــي عـــــالم الحيـــــوان

هيـــا اقتلـــوني ، واظفـــروا بمُـــرادكم! إن المـــــراد إبـــــادة الإنســـــان

قـــالوا: ســـنفعل بعـــد أن نحظـــى بمـــا يحظـــى بـــهِ رجـــلٌ خـــلا بحَصَـــان

ســـترين منـــا مـــا يَشـــيبُ لهولـــه ولنـــار فتنتـــه فتـــى الفِتيـــان

سنصـــبُ فوقـــك مِـــن عـــذاب سُـــعارنا مـــا قـــد يفـــوقُ وســـاوسَ الشـــيطان

ولســـوف نجعـــلُ منـــكِ أنكـــى عِبـــرةٍ لحرائـــر الإســـلام فـــي (البَلقـــان)

وتجـــوبُ قصـــتك الحواضـــرَ والقـــرى وتـــروجُ - بـــين النـــاس - فـــي البلـــدان

ولســـوف ننســـيكِ الـــذي ذاكرتـــه ووعيتـــه مِـــن سُـــنة العـــدنان

أوَمـــا رأيـــتِ ســـلاحنا وعتادنـــا ورجالنـــا كالأسْـــد فـــي الميـــدان؟

قلـــتُ: اعلمـــوا أنـــأ لستُ وحـــدي هـــا هنـــا ســـأمُدّ هـــذا الكـــف للـــرحمن

ولســـوف أجـــارُ - للقـــدير - بدمعـــةٍ ليُعيـــذني مِـــن صَـــولة الـــذؤبان

ربـــاه قلّـــتْ حِيلتـــي فـــي مِحنـــةٍ أعتـــى مـــن التحريـــق بـــالنيران

فـــي لجـــةٍ فيهـــا تطـــاول ســـبعة فقـــدوا الحيـــا أقـــوى مِـــن الحيتـــان

ذبحـــوا جميـــع الأهـــل دون هـــوادةٍ وأنـــا غـــدوتُ رهينـــة الحِيطـــان

مـــات الحُمـــاة ، فمـــن ســـيحمي حُـــرة تلقـــى - مـــن الأعـــداء - كـــل هـــوان؟

عِلـــجٌ يُســـاومُها ليهتـــك عِرضـــها ولهاثـــه مثـــلُ الحمـــيم الآن!

وســـواه ينـــزعُ - للرفـــاق - نِقابهـــا ويَمينـــه امتـــدتْ إلـــى الفســـتان

والثالـــث المحتـــالُ غازلهـــا لكـــي تفضِـــي إليـــهِ بغِبطـــةٍ وتفـــان

والرابـــعُ الغجـــريُ شـــط بـــه الهـــوى فـــإذا بـــه يهتـــاجُ كالســـكران

والخـــامس الهمجـــيُ أرســـل ضـــحكة أصـــداؤها كالرعـــد فـــي الأركـــان

والســـادسُ الـــدهقانُ دبّـــرَ خطـــة حتـــى يســـاعدَ زمـــرة الأخـــدان

والســـابعُ ارتعـــدتْ فرائصُـــه لمَـــا ينتابُـــه مِـــن شِـــدة الهيَجـــان

وكـــأنهم ظفِـــروا بصـــيدٍ أعـــزل والأكـــلُ منـــه - اليـــومَ – بالمجـــان!

ربـــــاه حِلمـــــك غـــــرّهم ، فتمـــــرّدُوا والجمـــــعُ راهـــــنَ أن يزيـــــلَ صِـــــياني

وأنـــــا عجـــــزتُ ، وأنـــــت تعلـــــم طـــــاقتي فتـــــــــولني بعطائـــــــــك الربـــــــــاني

أعْـــمِ العُلـــوجَ ، فـــلا يـــرَوْا لـــيَ عَـــورة لا عـــــين ترقبنـــــي مِـــــن العميـــــان!

وابعـــث علـــى العِيـــر الكُســـاحَ بمـــا جنـــوْا والعـــــــنهمُ يـــــــا رب كـــــــل أوان

أنقـــــذ وليتـــــك التـــــي ظفـــــروا بهـــــا ظفـــــرَ الجحافـــــل بالأســـــير العـــــاني

فـــــإذا بنصـــــر الله ينـــــزلُ عـــــاجلاً وإذا بآيـــــــــة ربنـــــــــا المَنـــــــــان

أعمـــــــاهمُ فتخبطـــــــوا ، وترنحـــــــوا وبَصُـــــرُتهم لـــــمْ يهتـــــدوا لمكـــــاني

ثـــــم ابـــــتلاهم بالكُســـــاح ، فأخلـــــدوا لـــــلأرض فـــــي زل وفـــــي إذعـــــان

وهنـــــا التقطـــــتُ ســـــلاحَ أشـــــقى رهطِهـــــم وقتلـــــتُ ســـــبعتهم بـــــذي النيـــــران

وتحوّلـــــتْ فـــــي التـــــوّ دَفـــــة حَربنـــــا وتقاســـــــما دَوْرَيهمـــــــا الخصـــــمان

مَـــن كـــان مَجنيـــاً عليـــه هنـــا اســـتمى حتـــى غـــدا فـــي ذا اللقـــاء الجـــاني

أمـــــا الجُنـــــاة فجُنـــــدلوا وتحسّـــــروا والجمـــــعُ بـــــاء بنكبـــــة الخســـــران

ســـــبحانك اللهـــــم أنقـــــذت التـــــي ذكرتـــــك فـــــي ثقـــــةٍ وفـــــي اطمئنـــــان

وجعلتهـــــا تحظـــــى بعاجـــــل ثأرهـــــا مِـــــن مُجـــــرمين تـــــذرّعوا بسِـــــنان

يـــــا رب أنـــــت ظهيرُنـــــا ونصـــــيرُنا إمـــــا غزانـــــا عابـــــدو الأوثـــــان

أمنياتٌ فات أوانها!

(ممرضة استرالية قامت بتأليف كتاب بعنوان: (أكثر خمسة أشياء نندم عليها عندما نكبر). يتضمن الكتاب ملخصًا: تم سؤال العديد من كبار السن قبل وفاتهم عن أبرز الأشياء التي ندموا على فعلها (أو عدم فعلها) لو عادوا إلى سن الشباب. فكان الملاحظ وجود خمس رغبات اشترك في ذكرها معظم كبار السن وهن: أولًا: تمنيت لو كانت لديّ الشجاعة لأعيش لنفسي ولا أعيش الحياة التي يتوقعها أو يريدها مني الآخرون. فقد عبّر معظمهم عن ندمه على إرضاء الغير (كرؤسائهم في العمل) أو الظهور بمظهر يُرضي المجتمع أو من يعيشون حولهم. ثانيًا: تمنيت لو أنني خصصت وقتًا أطول لعائلتي وأصدقائي بدلًا من إضاعة العمر كله في روتين العمل المجهد. ثالثًا: تمنيت لو كانت لديّ الشجاعة لأعبّر عن مشاعري بصراحةٍ ووضوح. فالكثيرون كتموا مشاعرهم لأسباب مثل تجنّب مصادمة الآخرين ، أو التضحية لأجل أناس لا يستحقون. رابعًا: تمنيت لو بقيت على اتصال مع أصدقائي القدامى أو تجديد صداقتي معهم ، فالأصدقاء القدامى يختلفون عن بقية الأصدقاء كوننا نشعر معهم بالسعادة ونسترجع معهم ذكريات الطفولة الجميلة. ولكننا للأسف نبتعد عنهم في مرحلة العمل وبناء العائلة حتى نفقدهم نهائياً أو نسمع بوفاتهم فجأة. وخامساً وأخيرًا: تمنيت لو أنني أدركت مبكراً المعنى الحقيقي للسعادة ، فمعظمنا لا يدرك إلا متأخرًا أن السعادة كانت حالة ذهنية لا ترتبط بالمال أو المنصب أو الشهرة. إن السعادة كانت اختيارًا يمكن نيله بجهد أقل وتكلفة أبسط ، ولكننا نبقى متمسكين بالأفكار التقليدية حول تحقيقها! يقول الله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"! حقاً إنه يوم لا ترى فيه إلا الصمت الرهيب ، والكبت الرعيب ، والخشوع المهيب الذي لا يتخلله كلام ، ولا يقطعه اعتذار فاليوم يوم العقاب لا يوم العتاب! سماه الله تعالى يوم الآزفة ، ويوم التناد ، ويوم الفصل ، ويوم النشور ، ويوم الدين ، ويوم البعث ، ويوم الحساب ، لكن الاسم الذي يزلزل القلوب ويورث الفزع ويهزّ المشاعر هو أن ذلك اليوم هو يوم الحسرة! يأمر الله نبيه وكل ورثته من الدعاة والواعظين أن ينذروا الناس ذلك اليوم الذي تتقطع فيه قلوب الغافلين حسرات ويكثر فيه الندم والزفرات. إنه يوم حسرة على الكافرين والظالمين والمعرضين حينما يبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون. إنه يوم الحسرة والندامة! يندم الكافر على كفره ، والظالم على ظلمه ، والمقصّر في طاعة ربه على تقصيره ، ولكن لا ينفع الندم! (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) إنه يوم الحسرة ؛ لأنه يوم يعلو فيه البكاء والعويل ، وتكثر الأمنيات والتوسلات ، فما أكثر من يقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْت)! وما أكثر من يقول: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِين)! وما أكثر من يقول: (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)! إنه يوم الحسرة ، يومئذ يتذكر الإنسان الحقّ ويتعظ بما يرى ، ولكن بعد فوات الأوان وأنَّى له الذكرى! وحين تتجلى الحقيقة يقول: (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)! إنها الآمال والأماني الضائعة التي فات أوانها وضاع ميعادها! (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)! ولكن يا حسرة على العباد! تُتاح لهم فرص النجاة فيُعْرِضُون عنها ، ويَفتح الله لهم أبواب رحمته ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة وهو يناديهم: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)! إنه يوم الحسرة ، وأيّ حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنّته ، واستحقاق سخطه ودخول النار! (يوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرٰبًا)! إنه يوم حسرة على التابعين يوم أن يتبرأ منهم المتبوعون: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)! إنه يوم حسرة فيا حسرة مَن ينادي: (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)! ويا حسرة مسلمة أسلمت نفسها لدعاة الشهوات فأغروها بخلع الحجاب: (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ)! إنه يوم حسرة على الظالمين ، يوم أن يأتوا بحسنات أمثال الجبال ويأتون وقد سفكوا دم هذا ، وأخذوا مال هذا ، وقذفوا هذا ، وضربوا هذا ، وآذوا هذا ؛ فيأخذ هؤلاء من حسناتهم وهؤلاء من حسناتهم ، فإن فنيت حسناتهم قبل أن يُقْضَى ما عليهم أُخِذَ من سيئاتهم فطُرِحَتْ عليهم ، ثم أُلْقُوا في النار! سيقول قوم: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) ، فيُجبَهم بعد مدة: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)! يوم يقول فيه المفـرِّط: (يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)! أمنيات فاتتْ!

كـــم أمـــانٍ فـــي مَشـــهد التيـــه لاحـــتْ ... واشـــتكتْ مِـــن أصـــحابها واســـتجارتْ!

هـــل يعـــيشُ شـــهمٌ علـــى أمنيـــاتٍ ... دون بـــذل بـــه العـــزائمُ قامـــت؟!

إن نفســـاً تهـــوَى ســـرابَ التمنـــي ... دون ســـعي ، واللهِ ضَـــلتْ وخابـــت!

تحتفـــي دومـــاً بالضـــياع ، وتهـــذي ... وعلامـــاتُ الهـــزل فـــي الـــدرب بانـــت

والتـــرَدِّي عُقبـــى نفـــوس تـــدَنتْ ... والمآســـي بعـــد التـــدني اســـتبانت

لـــم تكـــنْ تُعطـــي للســـقوط احتمـــالاً ... غرَّهـــا العـــزمُ حـــين صـــالتْ وجالـــت

بعـــد مـــاذا كانـــت إفاقـــة (زيـــدٍ) ... ليـــت نفســـاً مِـــن غيهـــا مـــا أفاقـــت!

لا تعـــودُ ذكـــرى إذا مـــا تولـــتْ! ... هـــل تعـــودُ الأضـــواءُ إمـــا تلاشـــت؟!

كـــل درب حـــوى طيوفـــاً تُنـــاجي ... قلـــبَ مُشـــتاق إذ تهـــادتْ وغابـــت

كيـــف ينســـى الإنســـانُ أعـــذبَ ذِكـــرى ... كـــان يهـــوَى مُرورَهـــا يـــومَ طابـــت؟!

فـــي زوايـــا العُمـــر المُـــودِّع أنّـــتْ! ... والأنـــينُ ممـــا تُعانيـــهِ صـــامِت!

فـــي الفـــؤاد لهـــا اشـــتياقٌ يُسَـــلي ... مَـــن دعاهـــا للعَـــود لمَّـــا اســـتحالت

هـــل بهـــذا التـــذكير أي اعتبـــار ... بعـــدما الحـــالُ للترهـــل آلـــت؟!

لـــو تعـــودُ الـــذكرى بمـــال أعِيـــدَتْ! ... والعيـــونُ إمَّـــا رأتْهـــا اســـتكانت

كـــم تحِـــنُّ نفســـي لـــذكرى تمَضَّـــتْ ... بُعـــدُها يَكـــوي ، والعـــذاباتُ طالـــت!

بخواتيمها الأعمال (حكاية جبلة)

(إن حكاية جَبَلة ابن الأيهم مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - لتدل دلالة واقعية على أن الأعمال بخواتيمها. قال أحمد بن عمر الكوفي بأن جبلة بن الأيهم (آخر ملوك الغساسنة الذي شارك الروم في معركة دومة الجندل واليرموك ، أسلم في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم ارتدّ وقصد القسطنطينية وفيها توفي) كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يطلب إذنه في القدوم عليه مُسلماً ، فسُرّ عمر بذلك وكتب إليه أن يُقدّم ويُسْلم وله ما لنا وعليه ما علينا. فخرج جبلة في جمع كثير من سائر العرب ، فلما قرب من المدينة ألبس القوم حُللاً من الذهب ومطارق مُوَشّاة ، وجَلل الخيل بجلاجل الأطلس ، ولبس جبلة تاجاً نفيساً وفرح المسلمون بإسلامه وقدومه ، وكان يوماً مشهوداً ، فدخل المدينة وأسلم ، وأقام بالمدينة المُنورة ، وتعلم شرائع الإسلام. فلمّا كان أوانُ الموسم خرج عمر - رضي الله عنه - إلى الحج ، وخرج جبلة معه يريد مكة والوقوف بعرفة ، فبينما جبلة بن الأيهم يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من بني فزارة فحلهُ ، فالتفت جبلة إلى الرجل فلطمه لطمة هشم بها أنفه ، فاستعدى الفزاري عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأرسل عمر إلى جبله فأحضره ، فحضر إليه فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا الرجل الفزاري؟! قال: لأنه وطئ على إزاري فحلّه ، ولولا حُرمة هذا البيت لأطحتُ برأسه ، قال له عمر: أما أنت فقد أقررت بفعلتك فإما أن ترضيه وإما القصاص ، قال: أوَتقتصّ له مني وهو وسُوقة وأنا جبلة بن الأيهم ملك غسان؟ قال له عمر - رضي الله عنه -: إنه قد جمعك وإياه الإسلامُ فلا فضل لك عليه فى القصاص. قال جبلة: لقد رجوتُ أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية! قال له عمر: دع عنك ذلك. قال: إذن أتنصّر! فقال عمر: إن تنصرت ضربت عنقك. قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة ، فقال جبلة: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين! قال له عمر: لك ذلك. فلمّا كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة والمدينة ، فلم يزالوا حتى دخلوا القسطنطينية على "هرقل" فتنصرّوا جميعاً ، فأقطعه من الأراضي وأوقف عليه من الرباع ، قال: وبعث عمر - رضي الله عنه - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، فأجابه إلى المصالحة على غير الإسلام ، فلمّا أراد أن يكتب لعمر جوابه قال للرسول: اذهب إلى جبلة بن الأيهم الذي أتانا من عندهم وتنصّر ، قال: فذهب إليه الرسول ، فإذا على رأسه من القهارمة (جمع قهرمان وهو أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه) والحُجّاب والحَفدة (جمع حافد وهو الخادم) ما لا يوصف. فاستأذن عليه ودخل إليه ، فإذا هو على سرير من بلور قوائمه من ذهب ، فلمّا رآني عرفني وأدناني وأجلسني إلى جانبه وأخذ يسألنى عن المسلمين واحداً بعد واحد ورجلاً رجلاً فأقول له بخير تركتهم ، قال: وكيف تركت عمر؟! قلت بخير ، ثم نزلت عن السرير ، فلما نزلت قال لي: لم تأبى الكرامة التي أكرمتك بها؟! فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن مثل ذلك الصنيع. قال: نعم ﷺ ، ولكن ثق بنبيك ، واجلس على ما شئت ، قال الرسول: فلمّا سمعته يصلي على النبى ﷺ طمعت فى إسلامه وقلت له: يا جبلة هل لك في الإسلام والرجوع إليه؟! قال: أبعد ما كان مني؟! قلت: نعم! وقد فعل رجل قبلك من بني فزارة أكثر مما فعلت! ارتدّ عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم عاد إلى الإسلام وقُبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً وهو فلان بن فلان ، قال جبلة: لا أعود إلا أن يزوجني عمر ابنته ويوليني العهد ، قال الرسول: فضمنت له التزويج ولم أضمن له الخلافة. ثم دعا بموائد الطعام فأحضرت أطباق من فضة وصحاف من ذهب فيها

الطعام ، فقال لي كُل ، فقبضت يدي وقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في مثل ذلك ، فقال: نعم ﷺ ودعا بقصعة من خلنج (شجر وهو معرّب كما جاء في القاموس) فأكلت فيها وكان بحضرته جوار يُغنين من الشعر وبأيديهن العُود والأراغل (جمع أرغول) فقال لي: أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلتُ: لا ، قال إن هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري كيف حاله يا ترى؟ فقلت له: قد كف بصره ، قال: فأمر لي بكسوةٍ ومال ونوق موفورة ، ثم قال لي: خذ هذه فإن وجدت حساناً حياً فسلمها إليه ، وإن وجدته ميتاً فادفع المال لأهله ، وانحر النوق على قبره وقل:

تنصرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرت لها ضررُ!

تكنفني فيها لحاجٌ - ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني! وليتني ... رجعتُ إلى القول الذي قال لي عمر!

ويا ليتني أرعى المَخاض بقفرةٍ ... وكنتُ أميراً في ربيعة أو مُضر

قال الرسول: فأخذتُ الهدية ورجعتُ إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبرته بصورة الأمر! وقال: هلا ضمنت له ذلك؟! فإذا فاء إلى الإسلام وتأنس به قضى الله بحكم فينا وفيه ، ثم ذكر له هدية حسان فأنفذ عمر إلى حسان قال: يا أمير المؤمنين إني لأجد ريح غسان ، قال: نعم ، هذا رجلٌ قدِم علينا من عندهم ، قال: هات يا ابن أخي ما معك ، فقال الرسول: ومن أعلمك أن معي هدية؟ قال: يا ابن أخي إن جبلة كريم من عُصبة كِرام مدحتهم في الجاهلية فأعطاني وحلف أن لا يلقى أحداً يعرفه بمكاني إلا سيّر معه هدية ، قال فدفعت له المال والإبل ، ثم أعادني عمر إلى القسطنطينية لأضمن لجبلة التزويج والأمر ، فلمّا قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فأعلمت أن الشقاء قد غلب عليه في أم الكتاب).هـ. (المختار من نوادر الأخبار 78 – 76.) وعموماً الهداية من الله نعمة كبيرة ، ونعمة أكبر منها الثبات على ذلك الحق حتى لقاء الله تعالى! وتحت عنوان: (الثبات على الحق) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (كثرت حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات حتى بين بعض العاملين للإسلام مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى برٍ آمن. ارتباط الموضوع بالقلب ؛ الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه: «لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً». رواه أحمد ، والحاكم ، وهو في السلسلة الصحيحة. ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول: «إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن». رواه أحمد ، وهو في صحيح الجامع. فتثبيت هذا المتقلب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها. ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته صلى الله عليه وسلم وسائل كثيرة للثبات. أولاً: الإقبال على القرآن. القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى ، وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ، من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت ، فقال تعالى في معرض الرد على شُبه الكفار: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ

وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}. وعلى رأسها الصبر ، ففي حديث الصحيحين: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر». (رواه البخاري في كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة ، ومسلم في كتاب الزكاة ـ باب فضل التعفف والصبر). وأشد الصبر عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عدم الصبر. تأمل فيما قاله ابن الجوزي رحمه الله: "رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة فمات ولد لابنته ، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو ، فإنه ما يستجيب. ثم قال: إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولداً". (الثبات عند الممات لابن الجوزي ص34) ـ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً ـ. ولما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}. ماذا حصل من عند أنفسهم؟ فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا. وقال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون: "صرنا إلى الرحبة منها في جوف الليل ، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا. فقال للجمال: على رسلك. ثم قال: يا هذا ، ما عليك أن تُقتل ها هنا ، وتدخل الجنة ، ثم قال: أستودعك الله ، ومضى. فسألت عنه ، فقيل لي هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف في البادية يقال له: جابر بن عامر يُذكر بخير". (سير أعلام النبلاء). وفي البداية والنهاية: أن أعرابي قال للإمام أحمد: "يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله ، فاصبر على ما أنت فيه ، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل" ، قال الإمام أحمد: وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه. (البداية والنهاية). وفي رواية أن الإمام أحمد قال: "ما سمعت كلمة وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق وهي بلدة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، قال: يا أحمد إن يقتلك الحق متّ شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً. فقوي قلبي". ويقول الإمام أحمد عن مرافقة الشاب محمد بن نوح الذي صمد معه في الفتنة: "ما رأيت أحداً ـ على حداثة سنه ، وقدر علمه ـ أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم: "يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، قد مد الخلق أعناقهم إليك ، لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله. فمات وصليت عليه ودفنته". (سير أعلام النبلاء). وحتى أهل السجن الذين كان يصلي بهم الإمام أحمد وهو مقيد ، قد ساهموا في تثبيته. فقد قال الإمام أحمد مرة في الحبس: "لست أبالي بالحبس ـ ما هو ومنزلي إلا واحد ـ ولا قتلاً بالسيف ، وإنما أخاف فتنة السوط". فسمعه بعض أهل الحبس فقال: "لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ، ثم لا تدري أين يقع الباقي". فكأنه سُرِّي عنه (سير أعلام النبلاء). فاحرص أيها الأخ الكريم على طلب الوصية من الصالحين وأعقلها إذا تليت عليك. واطلبها قبل سفر إذا خشيت مما قد يقع فيه ، واطلبها أثناء ابتلاء ، أو قبل محنة متوقعة ، واطلبها إذا عُينت في منصب أو ورثت مالاً وغنى ، وثبت نفسك وثبت غيرك والله ولي المؤمنين).هـ. وإذن فجبلة بن الأيهم هذا لو سأل الله تعالى التثبيت لثبته الله سبحانه وتعالى ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه ، فحُرم التثبيت ، وذاق لذة المعصية!

أوَجَـــــدت وعـــــدَ الله ربـــــي الأكـــــرمِ حقــاً ـ بــدار الصــدق ـ يــا ابــن الأيهــمِ؟

إذ غـــرَّك المُلـــكُ الـــذي هـــو زائـــلٌ ... فـــأدرتَ - للإســـلام - مُقلـــة غـــيْلم

أرســـلت للفـــاروق تطلـــبُ إذنـــه ... فـــي أن تجيـــئ عليـــك هيبـــة مســـلم

فاستبشـــرَ الفـــاروقُ دون تـــردّدٍ ... فلعـــل عبـــداً - بالحنيفـــة - يســـتمي

وإليـــك خـــط كتابـــه يرجـــو اللقـــا ... بمُوحّـــدٍ لقيـــاه أربَـــحُ مَغـــنم

كـــم تســـعِد الفـــاروقَ توبـــة تائـــب ... أمســـى - لـــدين الله - صِـــدقاً ينتمـــي!

ولـــك الـــذي - للمســـلمين - جمـــيعِهم ... وبكـــل عـــدل دون أي تكـــرّم

وعليـــك طبعـــاً مـــا علـــيهم فـــي الـــورى ... فـــالله أكـــرمَهم بشـــرع مُحكـــم

فخرجـــتَ فـــي جمـــع تعـــاظمَ كثـــرة ... وأتيـــت تـــرأسُ جمعَهـــم كالضـــيغم

ودخلـــتمُ حـــرمَ المدينـــة مَوكبـــاً ... بـــدت الحُلـــي عليـــه مثـــلَ الأنجُـــم

حُلـــلٌ - مـــن الـــذهب الســـبيك - نفيســـة ... ولهـــا بريـــقٌ ســـاطعٌ كالعنـــدم

ومطـــارقُ الأقـــوام يلمـــعُ وشْـــيُها ... وكأنمـــا هـــذي جحافـــلُ (رســـتم)

والخيـــلُ - فـــي سُـــرُج الجلاجـــل - جُللـــتْ ... ولهـــا صـــهيلٌ يغتـــذي بـــتحمحُم

وعليـــك تـــاجُ الملـــك يســـتلبُ النهـــى ... ويـــذكّر الأصـــحابَ بـــابن الأصـــحم

والمســـلمون اســـتقبلوك بفرحـــةٍ ... وحَفـــاوةٍ ، وتفـــاؤل ، وتبسّـــم

حتـــى النســـاءُ خـــرجن يشـــهدن اللقـــا ... والصِـــبية انطلقـــوا بكـــل تـــرنم

كـــل القبائـــل شـــاركتْ مِـــن (خـــزرج) ... و(خزاعـــةٍ) فـــي ذا اللقـــاء و(ضَـــجْعم)

وأقمـــت بـــالزهراء خيـــرَ إقامـــةٍ ... وعليـــك صـــبّ اللهُ أعظـــمَ أنعُـــم

وكـــذا تعلمـــتِ العقيـــدة والهُـــدى ... وشـــريعة الـــديّان خيـــرَ تعلـــم

وحَججـــت بيـــت الله ، تحـــدوك المُنـــى ... بـــالأجر عنـــد المســـتعان المـــنعم

فـــإذا بمَـــن وطـــئ الإزارَ تنالـــه ... كـــفٌ تخلـــتْ - فـــي الشِـــجار - بمِلطـــم

فشـــكى الفـــزاريّ المظـــالمَ واثقـــاً ... مِـــن نصـــرة الفـــاروق دون تـــوهّم

فـــالأنفُ قـــد كُســـرتْ بلطمـــة ظـــالم ... مُتطـــاول ، مُتعجـــرفٍ ، مُـــتجهم

فقضـــى لـــه الفـــاروقُ إمـــا بالرضـــا ... بالـــذل منـــك ، بـــدون أي تبـــرّم

فـــإذا أبـــى كـــان القصـــاصُ شـــريعة ... فـــي كســـر أنـــف الجـــائر (ابـــن الأيهـــم)

فـــالأنفُ بـــالأنف ، الشـــريعة هكـــذا ... أوَلـــيس ذا نـــص الكتـــاب المُحكـــم؟

فجهـــرت أنـــك - فـــي الغساســـن - ســـيدٌ ... ملـــكٌ ترفـــعَ أن يكـــون لـــه ســـمي

فأجابـــك الفـــاروقُ: قـــد ســـوى الهُـــدى ... بـــين الأكـــارم فـــي الوشـــائج والـــدم

فـــإذا بإفصـــاح ، يزيـــدُك خِسّـــة ... أبـــئسْ بمـــا وافـــى بـــه أشـــقى فـــم!

إذ كنـــت - فـــي الإســـلام - تنشـــدُ عِـــزة ... ومكانـــة ، يـــا للنفـــاق المُبْـــرم!

فأجابـــك الفـــاروقُ: دعْ مـــا تـــدّعي ... مِـــن صَـــولة الملـــك المُريـــب المُـــبهم

فأجبـــت: إنـــي - بعـــدها - مُتنصّـــرٌ ... كـــيلا أســـوّى بالعبيـــد العُـــدّم

فعلمـــت أنـــك إن فعلـــت فميـــتٌ ... ضـــرباً بســـيفٍ مـــن أميـــر مســـلم

وبنـــو (فـــزارة) ينشـــدون قِصاصـــهم ... والكـــل أطـــرقَ فـــي خِضـــمّ المـــأزم

فجـــأرت أمهـــلْ يـــا أميـــرُ إلـــى غـــدٍ ... حتـــى خرجـــت بجـــنح ليـــل مُظلـــم

ودخلـــت (قســـطنطينية) ، وهرقلهـــا ... أعطـــاك إعطـــاء الجـــواد المُكْـــرم

وأتـــاك مـــن عمـــر رســـولٌ مخلـــصٌ ... يـــدعوك للإســـلام قبـــلَ المَنـــدم

حتـــى اشـــترطت مـــن الشـــروط عَســـيرَها ... وقطعـــت - بالألفـــاظ - دون تفهـــم

تُجـــري علـــى الفـــاروق شـــرطك عابثـــاً ... وكأنـــه شـــرط اللبيـــب المُلهـــم!

تتـــزوّج ابنتـــه ، وبعـــدُ خلافـــة ... هـــذان شـــرطا هـــازل مُتبـــرم

وأجابـــك الفـــاروقُ لكـــن بعـــدما ... وافـــتْ مَنيـــة فاقـــدِ التقـــوى عَمِـــي

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 4)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	إبراهيم مصطفى في ذمة الله!	البسيط	ثم قمِ	2
2	ابن باز قلعة العلم! – مساجلة عشماوية	الكامل	جناني	9
3	بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)	البسيط	مطعونُ	11
4	أطفال تحت الأنقاض!	الخفيف	الفخَارا	15
5	تحية شعرية لسلاطين آل عثمان!	الكامل	الشاءُ	20
6	الأطـلالُ اليمنيـة (1)! (معارضة لأطلال إبراهيم ناجي)	الرمل	قافية منوعة	21
7	الأطـلالُ اليمنيـة (2)! (معارضة لأطلال إبراهيم ناجي)	الرمل	قافية منوعة	23
8	الأعمال بالخواتيم 3 (عروسٌ تموت وهي ترقص)	الكامل	الأشداقِ	28
9	الأعمال بالخواتيم (عروسٌ تموت وهي تُصلي)	البسيط	إحسانا	32
10	الضحية والجزار!	المتقارب	أحلامها	35
11	العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)	الكامل	الاستسلامُ	36
12	المرثية السليمانية (في رثاء والدي)	البسيط	تُشجيها	39
13	المرثية السماحية (في رثاء والدتي)	الكامل	وتحدرا	42
14	الموتُ حار الكل في أسبابه (تأبين الشربيني أبو طالب)	الكامل	عُجَّابهِ	45
15	الوريثُ الوحيد!	البسيط	صادق الوعدِ	51
16	اليتمُ دَربُ الغِنى!	الرمل	ألوان العنا	54
17	أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه؟	الكامل	والطغيانِ	57
18	أمنياتٌ فات أوانها!	الخفيف	واستجارتْ	62
19	بخواتيمها الأعمال (حكاية جبلة)	الكامل	يا ابن الأيهمِ	64

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 4)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نِهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيزُ النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سُويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأملُ الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذلُ الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموعُ التصبر: (ديوان شعر).
12 – عِتابٌ وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوهُ ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مِسبحتي وتَغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عَزة الخير: (ديوان شعر).
17 – مَنارُ الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ مِن قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلامُ الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجَمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعرُ رَحِمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وَداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كُنْ لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 ـ اللهمّ تقبَّلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).
29 ـ اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم! (ديوان شعر).
30 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء! (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف! (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو! (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية! (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية! (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً!
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً!
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي! (النص الوحيد من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى! (مدح الله تعالى)
21 – الآن طاب الموت! (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة!
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء!
24 – فاعفوا واصفحوا!
25 – أبجديات شعرية!
26 – الشعر رَحِمٌ بين أهله!
27 – الله يرحمُ مُزنة!
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف!
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لِحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم! (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب! (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي! (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث! (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية! (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع! (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رُفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –!
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سُمية بنت خياط – رضي الله عنها –!
61 – سنسافر أنا والكتب! (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة! (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين! (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس! (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل!
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن! (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض!
75 – لقاؤنا في المحكمة!
76 - لوعة الرحيل!
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى! (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء!
81 – منار الخير! (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها! (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية! (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية! (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً! - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حَنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه! (الصهر الكذاب)
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد! – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
116 – شبعة من بعد جوعة! (رسالة إلى أسرةٍ وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسِّب بالقرآن!)
118 – عَظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحِية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رَدَّ سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يُؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقابُ ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم! (محمود هلال)
136 – وليس العُري كالستر!
137- إعصار ليبيا المُدَمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروسٌ تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة!
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء! (رزان)
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض!
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
166 – القارئ المرتل ظافر التائب!
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
184 – المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المُنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله! (نانا)
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحلُ ويبقى الأثر! (المَشالي & عَطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أختٌ من الأب!
203 – مالكُ بنُ دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابٌها أصدق من أهلها!
210- رسالة منتقبة حكيمة!
211 – عليهِ العِوَض ، ومنهُ العِوَض!
212 – هل مات العريس؟!
213 – الله الله في شعر أبيكم!
214 – هل أصبحتُ وباءً؟!
215 – من المحنة تأتي المنحة!
216 – الخمسة أولادي!
217 – رجلٌ جمعَ القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
218 – ياسمين والرحيل إلى الله!
219 - سامحوني أيها الأبناء!
220 – هل في القزْع جمال؟
221 – كذبتني ، فهل صَدَقتَ؟!
222 – امرأة بألف رجل!
223 – الواعظة الصغيرة!
224 - زوجات مبتكرات!
225 - اللهم تقبل مني شعري!
226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
227 – قالت رحابُ ، وقلتُ! (محاكاة لرحاب المحمود) - 1
228 – خياران أحلاهما مُر!
229 – كم أعطوك؟!
230 – الخديعة الكُبرى!
231 – نحن جاهزون للطلاق!
232 – الوريث الوحيد!
233 – فاعدل بينهم!
234 – سأعَلمها وأربِّيها!
235 – الأعمى البصير!
236 – ذهب النشوز بالحب!
237 - الأخت الكُبرى الضحية!
238 – أخبره أني أخته!
239 – اذكر دراجتك وقفاصتها!
239 – ضحايا الروتين اليومي!
240 – شتان بين اللجنتين!
245 - الجهل سلاح المرتزقة!
246 – شكرٌ أتى متأخراً!
247 – لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!
248 – لماذا خذلتني يا أبتاه؟!
249 – عُقبى حُب الظهور!
250 - صلاة التراويح الظافرية!
251 - تبادل الزوجات!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات!
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال!
4 – أمتي الغائبة الحاضرة!
5 – أنات محموم وآهات مكلوم!
6 – أوبريت هيا إلى العمل! (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية ، والرد عليها!
8 – رمضان شهر الخير والبركة!
9 – عندما لا نجد إلا الصمت!
10 – يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء!
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء! (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان!
15 – رسائل سليمانية شعرية!
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة!
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضِدَّان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة! (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمِرُ العِتاب!
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائدُ لها قِصصٌ مُؤثرة! (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره!
24 – مساجلات سليمانية عشماوية!
25 – مُراودة ومُعاندة! (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –!
27 – الزاهية تُحدثنا عن نفسها! (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العِلل والداءات!
30 – الصعيد مهد المجد والسعد!
31 – الضاد بين عدو وصديق!
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى!
33 – الغربة دُربة على الطريق!
34 – الغيرة غير القاتلة!
35 - القصيدة ابنتي!
36 – اللغة العربية وصراع اللغات!
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل!
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة! (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال!
41 – الوحدة بر الأمان! (مسرحية من فصل واحد)

42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم!
43 – أمومة وأمومة!
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر!
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير! (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة! (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية!
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب!
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة!
63 – من أناشيد الأفراح!
64 – نحويات شعرية!
65 – نساء صَقلتهن العقيدة!
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان!
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر!
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان

84 – بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري!
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة!
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المُرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون!
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية! (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق!
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد!
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 – حسابي مع الأوباش!
133 - ضرب الزوجات!
134 - نصيب أسرتي من شعري!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry! 27– Oh, My Poetry, Be my Witness! 28 – Oh, Allah, Reward my Poetry! 29 – Allah, Allah, in your father's Poetry! 30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 4)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	إبراهيم مصطفى في ذمة الله!	البسيط	ثم قمِ	2
2	ابن باز قلعة العلم! – مساجلة عشماوية	الكامل	جناني	9
3	بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)	البسيط	مطعونُ	11
4	أطفال تحت الأنقاض!	الخفيف	الفخَارا	15
5	تحية شعرية لسلاطين آل عثمان!	الكامل	الشاءُ	20
6	الأطـلالُ اليمنيـة (1)! (معارضة لأطلال إبراهيم ناجي)	الرمل	قافية منوعة	21
7	الأطـلالُ اليمنيـة (2)! (معارضة لأطلال إبراهيم ناجي)	الرمل	قافية منوعة	23
8	الأعمال بالخواتيم 3 (عروسٌ تموت وهي ترقص)	الكامل	الأشداقِ	28
9	الأعمال بالخواتيم (عروسٌ تموت وهي تُصلي)	البسيط	إحسانا	32
10	الضحية والجزار!	المتقارب	أحلامها	35
11	العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)	الكامل	الاستسلامُ	36
12	المرثية السليمانية (في رثاء والدي)	البسيط	تُشجيها	39
13	المرثية السماحية (في رثاء والدتي)	الكامل	وتحدرا	42
14	الموتُ حار الكل في أسبابه (تأبين الشربيني أبو طالب)	الكامل	عُجَّابهِ	45
15	الوريثُ الوحيد!	البسيط	صادق الوعدِ	51
16	اليتمُ دَربُ الغِنى!	الرمل	ألوان العنا	54
17	أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه؟	الكامل	والطغيانِ	57
18	أمنياتٌ فات أوانها!	الخفيف	واستجارتْ	62
19	بخواتيمها الأعمال (حكاية جبلة)	الكامل	يا ابن الأيهمِ	64

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 4)